



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution



مجلة القلزم

للدراستات التوثيقية

ISSN: 1858 - 9790

في هذا العدد :

- الأستاذ عباس الزين الطيب (الميلاد، النشأة، البيئة والمجتمع المحلي)
د. محمد الفاتح حياقي
- من صور الإيمان بالواجب
أ.د. عبد الله محمد أحمد
- عباس الزين الطيب (سادن مكتبة السودان)
د. محمد صلاح الدين محمد مضوي
- انطباعات حول شخصية الأستاذ عباس الزين الطيب
د. رشا أحمد محمد علي عشاري



العدد السادس - شوال 1443 هـ - مايو 2022 م

مجلة القلزم العلمية للدراسات التوثيقية دورية دولية محكمة - العدد السادس - شوال 1443 هـ مايو 2022 م



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

ISSN: 1858 - 9790

ردمك

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Al QulzumScientific DocumentaryJournal
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022
تصدر عن دار آريشيريا للنشر والتوزيع السودان
ردمك: 1858-9790 الخرطوم- السودان

مجلة القلزم للدراسات التوثيقية

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ.د. بركات موسى الحواقي - جامعة بحري - السودان .
أ.د. عز الدين عمر موسى - مركز العز بن عبد السلام - السودان.
أ.د. دلال بنت محمد سليمان السعيد - جامعة جدة - المملكة العربية السعودية.
أ.د. كمال محمد جاهد الله الخضر - جامعة إفريقيا العالمية - السودان.
أ.د. إيمان علي مهران عثمان - المعهد العالي للفنون الشعبية - جمهورية مصر العربية.
د. صديق عمر الصديق - جامعة الخرطوم - السودان.
د. عبد الباقي يونس إسماعيل - جامعة النيلين - السودان .
د. أبو القاسم السنوسي قنه محمد - مركز دراسات الصحراء - ليبيا.
د. فتح العليم عبد الله محمد - جامعة أم درمان الأهلية - السودان.
د. محمد الفاتح أحمد - جامعة براندنبورج - ألمانيا.
د. عفاف عبد الحافظ عبد الحفيظ محمد رحمه - جامعة الخرطوم - السودان.
د. نزار محمد غانم - جامعة الأحفاد للبنات - اليمن.
د. هالة أبايزيد بسلطان - جامعة أم درمان الأهلية - السودان.
د. جعفر علي فضل إبراهيم - جامعة نيالا - السودان.
د. سليمان محمد سليمان - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان.
د. محمد أحمد محمد عبد العزيز - جامعة الفاشر - السودان .
د. صلاح محمد إبراهيم أحمد - جامعة النيل الأبيض - السودان.
د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب - جامعة كسلا - السودان.
د. لمياء دفع الله مصطفى - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

رئيس هيئة التحرير

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

رئيس التحرير

أ. عوض أحمد حسين شبا

سكرتير التحرير

أ. خالد بابكر محمد إبراهيم

التدقيق اللغوي

أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر (السودان)

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم والإخراج الفني

أ. عادل محمد عبد القادر (السودان)

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

ترسل الأوراق العلمية عبر العنوان التالي

هاتف: +249121566207 - +249910785855

بريد إلكتروني : rsbcsc@gmail.com

السودان - الخرطوم - السوق العربي عمارة جي تاون الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلْزَم) للدراسات التوثيقية مجلة علمية دولية مُحَكَّمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان بالشراكة مع دار أثريريا للنشر والتوزيع- السودان. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التوثيقية والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين (.)
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.



كلمة التحرير

نحمد الله تعالى حمدا طيبا مباركا فيه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

القارئ الكريم:

فى إطار خطة مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر فى تفعيل وتنشيط البحث والنشر العلمى، وذلك بتسهيل وتوسيع مواعين النشر الرصين، رأت وحدة البحوث والنشر بالمركز بعد التشاور مع الهيئتين العلمىة والاستشارىة إصدار مجلة علمىة جديدة تضاف لسلسلة مجلات القلزم العلمىة الدولىة المحكّمة المتخصصة، تعنى بالتوثيق للشخصيات الرائدة والرموز فى مختلف المجالات العلمىة، الاجتماعىة والاقتصادىة، السياسىة، الفنىة، والرياضىة وغيرها، فى السودان ودول حوض البحر الأحمر والعالم؛ وكذلك التوثيق للمؤسسات البارزة التى أسهمت فى الحياة الاجتماعىة والثقافىة والاقتصادىة الخ...

تعتبر مجلة القلزم العلمىة للدراسات التوثيقىة من المجالات المتخصصة المتفردة، ولعلها الأولى فى السودان والوطن العربى، التى اهتمت بهذا الجانب، وانتهجت فى طرىقة تحريرها نهجاً جديداً يعتمد على تكوين مجموعات بحثىة ذات صلة ومعرفة بموضوع العدد، تحت إشراف أحد العلماء فى المجال المعنى.

القارئ الكريم:

هذا العدد هو السادس من مجلة القلزم العلمىة للدراسات التوثيقىة يخرج إليكم فى ثوب قشيب تحت إشراف الدكتور/ محمد الفاتح حياتى للتوثيق للاستاذ/عباس الزين الطيب أحد الرموز السودانىة والعربىة فى مجال المكتبات، تناول هذا العدد سيرة من حياته العلمىة والعملىة (جامعة الخرطوم ومكتبة السودان).

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد للجميع؛،،،

هئية التحرير



كلمة مشرف العدد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله المتفضل على عباده بجلال العنايات، المُنعم عليهم بأعظم العطايا والهبات، أحمدُه حمد عاجزٍ عن الحمد والشكر والثناء، وأسأله تجلّت قدرته أن يتوجّنا بالقبول والفوز والفلاح، وأن يوفقنا لما فيه الخير.

سيدي القارئ الكريم:

نُقدم في هذه العُجالة سيرةً توثيقية للراحل المقيم الأستاذ عباس الزين الطيب عليه من الله سحائب الرحمة والمغفرة والرضوان. سيرةً تشمل مختلف الجوانب في حياته. ولإنجاز هذه المهمة؛ قمنا باستكتاب عدد من أصدقاء الفقيه وزملائه وأقاربه، فشملت الأوراق الجوانب الأسرية والاجتماعية والبيئة التي نشأ وترعرع فيها، وكذلك الجانب المهني في حياته، إذ غطى ذلك مسيرته العملية بمكتبة السودان بجامعة الخرطوم، إضافة إلى تناول الجوانب الإنسانية في شخصه الكريم وعلاقته بالمزلاء والباحثين ورواد المكتبة، كما شمل التوثيق بعض الكلمات والمرثيات التي كُتبت بعد وفاته.

هذا وقد كلفتني المجلة الناشرة بالإشراف على هذا العدد التوثيقي، فأنعم به من شرف لا يداني، شرف تبتد معاملة في أنني ما طلبت من أحدٍ أن يسطر لنا شيئاً إلا ووافق بكل فرح وسرور، إذ شارك في هذا العمل كواكب وأنجم من علماء بلادي العظماء، وكلهم يعرف للفقيه قدره ومكانته. ولم نجد أي تعب في جمع هذه المادة، سائلين الله أن يجعل ذلك العمل في ميزان حسنات الفقيه وفي ميزان من سطره، وأن يتقبله منهم ويجعله صدقة جارية وذخراً لهم عند الموقف العظيم.

وفي هذا المقام؛ لا يفوتني أن أُرْجي أجزل الشكر والتقدير للقائمين على إدارة مجموعات مجلة القُلُزْم، تلك المجلة التي اقتحمت المعرفة من أوسع أبوابها، فهي تحذو حذو العمالقة، ولذلك فإني على ثقة عمياء بأنها ستكون ذات شأنٍ عظيمٍ في المستقبل القريب بإذن الله. أما اهتمام هذه المجلة بالجانب التوثيقي لرموز المجتمع السوداني في كافة الاتجاهات المعرفية والثقافية والسياسية؛ فإنه يعد لفئة بارعة فازت بها هذه المجلة. وسيكون ما يتم توثيقه هنا تراثاً معرفياً يحتاجه الناس في يوم من الأيام. أسأل الله لهم القبول والتوفيق والسداد أني يُمّموا وتوجهوا.

د. محمد الفاتح حياقي

المحتويات

الأستاذ عباس الزين الطيب (الميلاد، النشأة، البيئة والمجتمع المحلي).....(9-30)

د. محمد الفاتح حياقي

من صور الإيمان بالواجب.....(31-32)

أ.د. عبد الله محمد أحمد

عباس الزين الطيب (سادن مكتبة السودان).....(33-46)

د. محمد صلاح الدين محمد مضوي

انطباعات حول شخصية الأستاذ عباس الزين الطيب.....(47-56)

د. رشا أحمد محمد علي عشاري

كلمات كتبت في رثاء الفقيد.....(47-56)



الأستاذ عباس الزين الطيب (الميلاد، النشأة، البيئة والمجتمع المحلي)

أستاذ مساعد - قسم الآثار
جامعة الخرطوم

د. محمد الفاتح حياتي

مستخلص:

تتناول هذه الورقة شخصية المرحوم الأستاذ عباس الزين الطيب الذي عمل بمكتبة السودان بجامعة الخرطوم لمدة تصل إلى 50 عاماً. غُيّت الورقة بالجوانب الاجتماعية والثقافية التي أثّرت على شخصيته وحياته، حيث تمت متابعة شخصيته من الميلاد إلى الممات من الناحية الاجتماعية، مع عكس ثقافة الأسرة التي وُلد ونشأ وتربى فيها، والمجتمع الذي عاش فيه بواكير صباه، وملامح تأثير ثقافة المجتمع المحلي على شخصيته، إضافة إلى مراحل التعليمية. كما هدفت الورقة إلى متابعة مسيرة حياته الثقافية والمهنية والعالم التي أحاطت بشخصيته. خلصت الورقة إلى أنَّ شخصية الراحل عباس الزين تُمثّل شخصيةً ملهمةً تستحق الاهتمام والتوثيق لتكون قدوةً مثلى للمجتمع.

Abstract:

This paper endeavors to highlight the main characteristics of the late Mr. Abbas El-Zein El-Tayib, who worked in Sudan Library at the University of Khartoum for up to 50 years. The paper focused mainly on the social and cultural aspects that influenced his character and life, as it followed up his personality from cradle to death, with reflecting the culture of the family in which he was born, raised, moreover; the society and environment where he lived during his early youth, as well; the influence of the local community's culture on his personality, in addition to his educational stages. It also aims to follow up his cultural

and professional life, with general aspects that surrounded his personality. Eventually it concluded that the late Abbas El-Zein is a real inspiring figure deserves attention and documentation in order to be an ideal model for society.

توطئة:

الحمد لله الذي زَيَّنَ مقاصيرَ قلوبِ الأصفياء بالنور التام، وكشف البراقعَ عن أبواب الأنقياء وجلا عنها الظلام. أحمده حمداً كثيراً متواليًا، وإن كان يتضاءلُ دون حق جلاله حمد الحامدين، وأستخيره فيما انبعث له عزمي من توثيق هذا الجواهر الثمين. فاللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على سيدنا محمد، وعلى سائر أنبيائك وملائكتك وأوليائك، من أهل أرضك وسمائك، عدد ما كان وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن في علم الله أبد الأبد، ودهر الداهرين، واجعلنا بالصلاة عليهم من الصديقين الأمنين يا رب العالمين.

لقد أنعم الله تعالى على البشرية بقدرٍ وافر من جلائل النعم، وكرائم النفحات، وعظائم المواهب، وما لا يحصيه إلا هو سبحانه جلَّ وعلا في ملكوته وتدبير شؤون ملكه. فكان من فضائل ما أنعم الله به على العباد أن جعل منهم أناساً يستفيء المرء بظلال مودتهم وكرم أخلاقهم، أناساً أرسلهم الله بلسماً وترياقاً لعباده، يعيشون بين الناس كالنسمة المنعشة، يتلففون لقضاء حوائج العباد كما تتلَهَّف الوالدة لبذل الخير لوليدها، يبذلون أنفسهم لراحة غيرهم ويحضرون عند الحاجة كما يُحضر الماء البارد عند اشتداد الظمأ. فهم أهل الصدق والوفاء الذين أمر الحق سبحانه وتعالى بمعيتهم وعدم مجافاتهم، فقال عزَّ من قائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»⁽¹⁾. وهم الذين وصفهم الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم في الحديث الذي رواه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه فقال: «قال رسول الله صلى عليه وسلم: إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليَّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبراء العنت»⁽²⁾. فهؤلاء الأتقياء الأنقياء؛ زينة سيماهم الكرم والإيثار والتفاني، وعمدة شيمهم النبَل ولين الجانب وبذل المعروف للخلق أجمعين. اختار خالق الأكوان ومنور القلوب والأقنعة والأبدان من هذه الثلة الطيبة المباركة؛ الراحل المقيم الأستاذ عباس الزين الطيب عبد الله ليكون

قرّة في جبين الطيبين، وروضة مُونقةً من رياض أهل العزم المتين، ونحسبه منهم بإذن من خلقه وزانه بأسمى سمات العرفان، وأضاء به غياهب الزمان والمكان، ونسأل المولى تبارك وتعالى أن يجعل ما نكتبه فيه شافعاً لنا جميعاً في عرصات يوم لا ظلّ إلا ظله، لطالما أننا نشهد له بأنبل الصفات، واقفين على أروع ما سطرته له الأمكنة والأزمان، والأفئدة والعقل واللسان. فقد أفاض عليه الملك القدوس جلّ جلاله أبهى حُلل الجمال والعرفان، وأورده أعذب موارد الإيقان، وقربّه إلى موائد الإحسان، وخلع عليه من خلع الرضوان. فما نحن إلا أناس شهدوا فيوضات الملك العلّام على أحد خلقه؛ تجسّد في شخص صاحب القول الحسن والفعل الحسن؛ الراحل المقيم، الأستاذ عباس الزين الطيب. فقد تبذرت للعيان ثمرات طيبة الغراس، وغدا قطافها مناشداً لمن يقطفه، فكان حتماً علينا مشاركة الجميع تذوق هذا الينع المبارك.

يتجلى الهدف الأساس من تطريز حبر هذا السّفر المبارك بإذن الله في سبر أغوار شخصية فقيدنا المرحوم بإذن من سوّاه فأبدع خلقه وخلقه، وغايتنا المثلى من ذلك تتجسّد في تسطير تاريخه الناصع وتوثيقه للأجيال المتعاقبة، مسترشدين بما تركه لنا من قبس نستضيئ به السبيل لنكتب ما جادت به القريحة ولو كان ضئيلاً، مستلهمين عرائس المعاني من ذكره الطيبة وروحه الطاهرة، مستعينين في ذلك بعد من خلّق الأبدان، ونور العقل والكيان جلّ جلاله؛ بالأهل والعشيرة والأصدقاء والزملاء في جمع أشتات سيرته العطرة وذكره الثرة. وفي هذا المقام؛ سنسعى جاهدين لتقديم شذرات من سيرته الأوليّة؛ محاولين التطواف على جوانبها الثقافية والاجتماعية متمثلة في مولده ونشأته والبيئة التي نشأ فيها والسياق الثقافي الذي عاشه في بواكير حياته.

صرخة الميلاد:

في حلة عباس التي تقع في ربوع الجزيرة الخضراء وتتبع إدارياً لمحلية الكاملين ووحدة المعيلق الإدارية، وثقافياً واجتماعياً لمنطقة الحلاوين؛ كانت لحظة الميلاد وظهور بدر البدور. ففي العام 1944م وفي بيئة ريفية مشبعة بالبساطة والمودة ونقاء السريرة ولّد فقيدنا في بيت متواضع ملؤه الزهد والصدق والإخلاص والرضى والإيمان الراسخ. فوالده هو الحاج الزين الطيب عبد الله (لوحة. 1)، ووالدته هي الحاجة آمنة محمد عباس، رحمهما الله وأسكنهما

فسيح جناته، ويجمعُ بينهما رباط قرابة الدم اللصيقة، وتُضاف إليه وشائج المحبة والإلفة والسلام. فقد نشأ فقيدنا في بيئة سليمة معافاة من كل ما يشوب الحياة ويكدر صفوها، إذ كان ولا يزال مجتمعاً طاهراً نقياً عفيفاً يتوشح ثوب التقى والعفاف، ويتزين بزّي المحبة والوئام، مجتمعاً خالياً من الصراعات العميقة، بعيداً عن مستنقعات الفتن والشُرور والآثام التي تنعكس على شخصية المرء وتأتي عليه بمردود سلبي يتجسّد في شخصه وسلوكه العام. في هذا الجو الأسري المفعم بالحيوية والطُّهر والنقاء؛ نشأ صاحب الذكرى، فقد كان لهذه البيئة الحسنة الأثر الطيب في تكوين شخصيته، إذ نشأ طيب القلب، نقي السريرة، محباً للخير وباذلاً له.



لوحة (1) الحاج الزين الطيب عبد الله، والد الأستاذ عباس الزين. ينتمي فقيدنا المرحوم بإذن ربه إلى قبيلة الحلاوين، إذ ينتهي نسبه الشريف إلى شجرة الأصل النورانية الطاهرة المباركة المطهّرة على منبع الحُسن

وجوهرة الكمال فيها أفضل الصلوات وأتمّ التسليمات وعلى آله أجمعين. وهذا ما وثقته المخطوطات المحفوظة عند الأهل وما تناقلته الروايات الشفهية التي يعطيها الأهل عناية خاصة. كما نقله بعض من وثّقوا ودوّنوا الأنساب السودانية وتاريخ القبائل العربية في السودان. فهو المرحوم عباس بن الحاج الزين بن الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله (درويش البقرات) بن الشيخ علي بن الجبارة بن عبد الله بن موسى بن الفكي بادي (أمّه فاطمة بنت الفقيه رحمة الحلاوي؛ أحد الأوائل الذين أخذوا الطريق القادري في السودان عن الشيخ تاج الدين البهاري⁽³⁾) بن الشيخ كنين الصوفي (ربما كان تلميذاً للفقيه رحمة الحلاوي وصهره) بن الشيخ محمود الكباري (هو جد النوايلة الطرّشاب وهم أحد فروع الحلاوين الذين ينتمي إليهم فقيدنا. وكان معاصراً للفكي محمد أبي مطايب والفقيه رحمة بن جمعة الحلاوي، وكان من أهل القرآن والعلم الشرعي⁽⁴⁾) بن عبد الله البخت بن إبراهيم شمش الدين بن محمد خازن بن محمد نائل بن محمد حلو الشمائل (وهو جد الحلاوين) بن السيد محمد أحمد محمد الله الفريد بن السيد محمد رافع (قبره ظاهر بمدينة أبو حمد بشمال السودان⁽⁵⁾) بن السيد عامر بن السيد الحسين بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الله بن السيد إبراهيم بن السيد علي الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وعنهم أجمعين. هذا النسب أورده الإداري البريطاني هارولد ماكمايكل (H.A.McMichael) في كتابه الموسوم ب: تاريخ العرب في السودان، وذلك في معرض حديثه عن نسب الحلاوين، فقد ذكر أنّ مخطوطة هذا النسب أحضرها الشيخ عبد الله العركي من مكة المكرمة عندما ذهب للقاء الشيخ تاج الدين البهاري لأخذ الطريق القادري⁽⁶⁾. كما نقل البروفيسور عون الشريف قاسم بعضاً منها عندما تحدّث الفقيه رحمة بن جمعة الحلاوي وهو جد الرّحماب، وهم فرع كبير من قبيلة الحلاوين، ولهم شأنٌ عظيم في المنطقة بأثرها، فقد كانت عندهم نظارة المنطقة⁽⁷⁾.

الأستاذ عباس الزين يشبُّ عن الطوق:

كما هو حال السُّلّم التعليمي في ذلك الزمن؛ يبدأ الأبناء بتعلُّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في الخلاوي. ومن تتوفّر له وسائل التعليم

النظامي المدرسي من رغبة شخصية وتحفيز من الأسرة يذهب إليه. وقد كانت حلة عباس كغيرها من سائر قرى منطقة الحلاوين تهتم بتدريس القرآن الكريم وحفظه. فالغالبية من النشء يذهبون إلى الخلوة ويحفظون القرآن الكريم. وقد قضى الأستاذ عباس عليه رحمه الله زمناً في خلوة القرية، لكنه سرعان ما انتقل إلى التعليم النظامي ليدرس المرحلة الابتدائية بمدرسة قرية مُقَدِر، وهي قرية تقع داخل حدود منطقة الحلاوين وفي محلية الحصاصا، وذلك في الفترة من 1952 إلى 1955م. وإبان دراسته في هذه المدرسة كان يسكن مع أحد أقربائه، وهو المرحوم السّر الأمين حاج آدم الذي كان يسكن قرية عَجّان في ذلك الزمان، وهي ليست ببعيدة عن القرية التي توجد بها المدرسة، ما يعني أنّ فقيدنا كان يتكبّد مشاقّ الذهاب إلى المدرسة مشياً على الأقدام جيئةً وذهاباً في غالب أيام الدراسة.

بعد قضائه المرحلة الابتدائية في المنطقة؛ انتقل فقيدنا لدراسة المرحلة الوسطى بمدارس الأحفاد الوسطى بأم درمان، وذلك في الفترة من 1956 إلى 1960م. أكسبت هذه المرحلة الفقيد طيب الله ثراه الكثير من المكتسبات الفكرية والثقافية، فقد جمع فيها بين الإنسان الذي وُلد وتربى في القرية والأفندي الذي نال قسطاً من التعليم النظامي الذي كان يؤهّله للعمل كموظف في إحدى المؤسسات الحكومية أو الخاصة. فلم يكن الأمر يسيراً وفي متناول يد الجميع حتى ينالوا هذا التأهيل.

البيئة والمجتمع المحيط:

نشأ فقيدنا في بيئة زاخرة بشتى ضروب الثراء الثقافي والمعرفي، وتربى في كنف أسرة تشبعت بروح التصوف والصفاء الروحي. وكان مشروع الجزيرة الزراعي في أوج ازدهاره وعظمته تحت رعاية المستعمر في ذلك الزمان. وقد تأسست حلة عباس في العام 1898م، وذلك في غضون الحراك الثقافي الذي أحدثته الثروة المهدية في المنطقة التي احتضنت الثائر محمد أحمد المهدي في بدايات تكوين أفكاره ونضوج دعوته، ومنها انطلقت شرارة ثورته إلى بقية أصقاع السودان⁽⁸⁾. وفي أثناء التداعيات السياسية والعسكرية التي اكتنفَت الحياة في السودان في العام 1898م رأى الحاج عباس بن محمد بن الشيخ على بن الجبارة، وهو ينتمي إلى قبيلة الحلاوين، وينضوي تحت أحد فروعها الذي يعرف بالحلاوين النوايلة أو الطرشاب؛ رأى أن يقوم بتأسيس قرية يجعلها ملاذاً

لأسرته الصغيرة، وطلب من ابن عمه الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله بن الشيخ علي بن الجبارة أن يؤازره في سكناه غير اللصيقة بأهله وعشيرته المباشرة في قرى الحلاوين الواقعة إلى الجنوب من حلة عباس بمسافة تربو عن الخمسة عشر كلم². فكان أن تأسست القرية في ذلك الزمن، ثم توافدت عليها قوميات أخرى أصبحت جزءاً من النسيج الاجتماعي (لوحة. 2).



لوحة (2) منظر عام لقرية حلة عباس. تصوير: علي عمر إبراهيم.
في ظلّ هذه التحركات السكانية؛ وبعد ما يزيد عن الأربعة عقود من تأسيس القرية؛ أذن مُسبب الأسباب ومجري السحاب جلّ في عليائه لفقيدنا في أن يلجّ إلى الدنيا، وتتفتح عيناه على إرث حضاري قامت دعائمه على روح التصوف والزهد والسمو الروحي، فوالده الحاج الزين الطيب عبد الله، كان رجلاً صوفياً نقياً نشأ في كنف العارف بالله: الشيخ الطيب بن حاج الصديق بن بدر (ود السائح) عليه رحمة الله، إذ أخذ عنه العهد ولازمه ملازمة لصيقة، وتأثرت روحه به أيما تأثر بشيخه، فعاش حياة ملؤها حُبّ الخير للآخرين مع التقوى والورع. وقد كان بناء المساجد والزوايا من أبرز مزايا الشيخ الطيب بن السائح، فقد كان الحاج الزين من المشاركين في هذه الإنجازات العظيمة برفقة الشيخ الطيب، أرسل الله على أضرحتهما سحاب الرحمة والرضوان.

أما جده فهو الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله، وهو رجل جمع مختلف صفات الكمال، فقد كان فارساً في شتى مضامير الحياة، وكان رجلاً صالحاً ورث عن آبائه وأجداده الفراسة والصلاح، وهناك الكثير من الروايات

الشفهية التي تتناقلها الأجيال عن صلاحه وفروسيته، فما تزال الذاكرة الجمعية للأهل متّقدة بالكثير من الكرامات التي رُويت عن الجد الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله. وقد تلمذ على الشيخ علي بن عجيلاي الذي كان يسكن قرية الدبيبة عبد الله، وهي تقع في الناحية الشمالية لحلة عباس. وتقول الروايات الشفاهية أن الشيخ علي بن عجيلاي كان تلميذاً للشيخ العبيد بن بدر طيب الله ثراه، وهو من ذرية الشيخ طه الأبيض⁽⁹⁾. كان الجدُّ الشيخ الطيب بن عبد الله مخلصاً لشيخه أيّما إخلاص، وقد رافقه في حياته وفي برزخه، إذ تم دفنه بالقرب من شيخه بمقابر قرية الدبيبة عبد الله، في حين كان أهله يدفنون موتاهم مع أهلهم الحلاوين بالمحيرييا. وأما الجدُّ الثاني لفقيدنا فهو الفكي عبد الله بن الشيخ علي بن الجبارة عليهم جميعاً رحمة الله، وكان يلقَّب ب: «درويش البقرات». فقد أخذ الطريقة السمانية عن الشيخ القرشي بن الزين قدس الله سرّه، وظلّ ملازماً لشيخه، وكان قائماً بتدريس القرآن بخلوة الشيخ القرشي بن الزين، فعندما جاء الثائر محمد أحمد المهدي إلى خلوة الشيخ القرشي بن الزين؛ أكمل حفظه للقرآن على يد الفكي عبد الله بن الشيخ علي. وتقول الرواية الشفهية أنه عندما بدأ الثائر محمد أحمد المهدي بنشر دعوته والتبشير بثورته؛ اعتزلها الفكي عبد الله وقال حديثاً نقله لنا حفيده الدكتور يوسف عبد الله الطيب عن أبيه عن جدّه الطيب الذي هو ابن الفكي عبد الله. ونصُّ الرواية يقول: «يا ولدي الفترة الجاية دي فترة سفك دماء.. وقد عُرضت على أولياء الله في الحضرة فأبوها.. وقبِلها الفكي محمد أحمد.. أسأل الله أنا ما أحضرها.. وأسأل الله يَمُرُّق منها الفكي محمد أحمد.. محمد أحمد من أولياء الله.. انتهي»⁽¹⁰⁾. يرشدنا هذا النقل الشفهي إلى أنَّ الفكي عبد الله لم يكن مؤمناً بمهدية الفكي محمد أحمد. فمحمد أحمد كان تلميذه في الخلوة، وقد أعطاه اسم الله الأعظم ليذكر الله به، وأدخله الخلوة الأربعينية، وهي تقليدٌ راسخ له ما يعضده من الشريعة الغراء عند السادة الصوفية. فعندما جاء محمد أحمد الذي عُرف فيما بعد بالمهدي إلى خلوة الشيخ القرشي بن الزين لم يكن قد أكمل حفظ القرآن الكريم، فأكمله على يد الفكي عبد الله بن علي. وقد انتقل الفكي عبد الله مع بداية انتشار الدعوة المهدية، فلم يحضر منها شيئاً، إذ لم يكن مقتنعاً بفكرة المهدية في شخص الثائر محمد أحمد، لكنه كان يُقرُّ له بالولاية والصلاح. وقد تبنّى ذلك الطرح المنتقد للثورة المهدية ومنهجها كثير من علماء ذلك

العصر وإن تباينت أسبابُ نقدهم وأغراضها⁽¹¹⁾، فقد ذهب بعض أهل العلم في السودان إلى أن فكرة المهدي موجودة في الأثر الإسلامي، لكنها لا تنطبق على محمد أحمد⁽¹²⁾.



لوحة (3) مقام الفكي عبد الله بن الشيخ علي، الجد الثاني للأستاذ عباس الزين. تصوير: مصطفى حسن سعيد.

ظل الفكي عبد الله بن الشيخ علي ملازماً لشيخه الشيخ القرشي يرتع في رياضه الغناء، ويرتشف من بحور حقائقه ومنابع رقائقه. وقيل إن والدَه الشيخ علي بن الجبارة كان تلميذاً للقطب الكبير؛ الأستاذ الشيخ أحمد الطيب بن البشير طيّب الله ثراه، فربما يكون ذلك عن طريق الشيخ أحمد البصير الحلوي عليه رحمة الله؛ بحكم ووجود الشيخ أحمد البصير في منطقة الحلوين، إضافة إلى رابطة الدم الحلوي الذي يجمع بين الشيخ أحمد البصير

والشيخ علي بن الجبارة، فضلاً عن أنَّ الشيخ أحمد البصير الحلوي يعدُّ أول تلامذة الشيخ أحمد الطيب بن البشير في هذه المنطقة ⁽¹³⁾. كما أورد صاحب كتاب معالم وأعلام أنَّ الشيخ محمد بن الجبارة، وهو من قرية الطُّرش؛ نسبة للطُّرشاب، وهي قرية السنية؛ كان تلميذاً للشيخ أحمد البصير أيضاً، والشيخ محمد بن الجبارة هو أخ للشيخ علي بن الجبارة كما جاء شجرة نسب الحلويين الطُّرشاب ⁽¹⁴⁾.

استمر الفكي عبد الله بن الشيخ علي يعمل بالتدريس في خلوة الشيخ القرشي بن الزين إلى أن ابتعثه الشيخُ القرشيُّ في مهمة إصلاح وإرشاد إلى مناطق تقع في أواسط الجزيرة وبالقرب من منطقة أبو قوتة، فظل مقيماً في ذلك المكان يرشد الناس ويعلمهم القرآن ويقضي حوائجهم المتصلة بالدين والدنيا، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ودُفن بقرية «كَترة» ومقامه ظاهر يُزار في تلك المنطقة ⁽¹⁵⁾ (لوحه 3). وفي هذا المقام؛ توجَّبت إجابة الفكر واستثارة الانتباه إلى أنَّ الفكي عبد الله يُعدُّ جندياً مجهولاً أسهم في غراس أطايب الثمر في شخصية الإمام المهدي عليه رحمة الله، ووجه نحوه أشعة الحق والنور، لكنه لم يجد حظاً من التوثيق والمعرفة، فلم نجد له ذكراً فيما سطرته الأقلام عن تداعيات الثورة المهدية ومنابعها المعرفية، إذ خلت الأدبيات من أدنى ذكر عن سيرته. لكن هذا الأمر ليس بغريب، فهناك الكثير من أصحاب العزائم والقُدح المعلى في صناعة الأحداث قد غيَّبَتْهم صفحات التاريخ عمداً أو سهواً. فالأضواء دائماً ما تُسلط على الصفِّ الأول من الذين شهدوا الأحداث وصنعوها. ومن هنا؛ نبذر هذه البذرة لتوثيق هذه الشخصية المعطاءة، سيما وأن المكنونات المعرفية الخاصة به تتجسد في الرواية الشفهية ولا سواها، مع العلم بأن من يحفظون الرواية الأصلية قد رحلوا إلى دار البقاء، فالتحريف والتدليس سيطل الرواية كلما تناول عليها الأمد، ما يُحتمُّ الإسراع في توثيقها.

أما والد الفقيه الأستاذ عباس الزين وهي الحاجة آمنه محمد عباس؛ فقد كانت امرأة فاضلة ورثت الأخلاق الحميدة ونشأت وترعرعت وشابت عليها. وجده لأمه هو الحاج عباس بن محمد بن الشيخ علي بن الجبارة، مؤسس القرية. أخذ الحاج عباس الطريقة القادرية البدرية عن الشيخ العبيد بن بدر، إذ تقول الرواية أنه عاصره في آخر أيامه وتلمذ عليه، واستمرت علاقته بخليفتي الشيخ العبيد بن بدر الأول؛ الخليفة أحمد بن بدر، والثاني؛ الخليفة حسب الرسول بن بدر. وقد حفظ الحاج عباس القرآن الكريم على

يد الخليفة حسب الرسول بن بدر بأمر ضوياً بان⁽¹⁶⁾، وظل ملتزماً بالطريقة القادرية البدرية إلى أن توفاه الله في العام 1940م⁽¹⁷⁾. وللحاج عباس من المآثر ما يحفظه الأهل وتتناقله الأجيال جيلاً عن جيل. فقد كان رجلاً صالحاً تقياً نقياً عاش حياة كريمة مليئة بالصلاح والورع. ولا ريب أن فقيدنا المترجم عليه رحمة الله قد ورث الخصال الكريمة عن آبائه وأجداده، فهي ذرية بعضها من بعض، إذ تنقلت النطف النورانية في أسارير غرر الجباه إلى أن وصلت إلى محل سر الله المكنون في خلقه، فانبجست طوابع النور الرباني في فقيدنا طيب الذكر والأثر، فأكرم به خير خلف لخير سلف.

كانت هذه هي عصارة المرتكزات الفكرية والروحية وزبد خلاصة الآفاق المعرفية المحلية التي تشربت بها روح فقيدنا، إذ توجته بلطائف العرفان، وألبسته ثوب الإحسان، فتقبله ربه بقبول حسن وأنبته نباتاً حسناً، فتبدى جماله للقاصي والداني.

نشأ الأستاذ عباس في هذه البيئة الخصبة المليئة بالعطاء والبساطة، فقد كان قوامها مرتكزاً على الزراعة وتربية المواشي فيما يرتبط بالاقتصاد المعيشي. وفي ذلك الزمان إبان أربعينيات القرن العشرين؛ كان مشروع الجزيرة قد بلغ أشده، وبدأت آثاره على حياة المجتمع، ويمكن أن نستجلي ذلك في التطور الذي ظهر جلياً في اهتمام الناس بالتعليم النظامي، إضافة إلى التطور العمراني، إذ عرف أهل تلك المنطقة المباني المشيدة بالطوب الأحمر منذ زمن مبكر. هذا إلى جانب الحراك الثقافي الذي لاحت بوارقه في المنطقة مع عصر الاستنارة ووقوف البلاد على عتبة الانعتاق من الاستعمار، ويُعد إقليم الجزيرة من أوائل أقاليم السودان التي بذرت بذرة المقاومة وسلوك طريق الاستقلال. كان الفضاء الثقافي في المنطقة بشكل عام وفي القرية بشكل خاص مُفعماً بروح التصوف والقرآن. وقد كان الحلاوين من أكثر الذين تمسكوا بحفظ القرآن الكريم في ذلك الزمن، إذ كان الآباء يحرصون على توريث حفظ القرآن الكريم لأبنائهم وبناتهم، وكانت هذه هي أبرز السجايا التي تُنشأ عليها الأجيال. فقد أسست في القرية خلوة لتحفيظ القرآن الكريم، أقام عمادها الفكي محمد بن الفكي عبد الله بن الشيخ علي بن الجبارة، وهو عم مباشر لوالد فقيدنا عليه رحمة. وتعاقب عليها شيوخ كثر من داخل القرية وخارجها⁽¹⁸⁾. وقد نال فقيدنا شرف الانتماء إلى هذه المؤسسة التعليمية، فورد مشاربها ونهل من مناهلها العذبة. ولهذه المؤسسة صنو آخر وشريك أصيل أثرى وجدان

الإنسان السوداني أيّما إثراء، ألا وهو المسيد. وفي هذا الصدد كان المزاج الصوفي هو التيار الفكري والروحي السائد والغالب في المنطقة وبشكل تقليدي بسيط لا تعتريه التوجهات الفكرية المعقدة ولا المدارس الفلسفية المتباينة، مع أن هذا التيار كان ممزوجاً بنزعة الفكر الثوري المهدوي عند الكثيرين من أهل المنطقة. فالسادة الحلّوين يعدّون من أوائل الذين ناصروا فكرة الثائر محمد أحمد المهدي. بل إن المنطقة تُعدُّ مدرسة فكرية شاركت في إعداد شخصيته؛ إذ شارك في ذلك الشيخ القرشي بن الزين والأمير محمد بن البصير⁽¹⁹⁾. ما يعني أن هناك بوتقة فكرية تمازجت فيها ألوان الطيف الصوفي ممثلاً في شقيقه؛ الطيف الصوفي الذي يرتكن إلى البُعد عن الصراعات السياسية في جنح إلى السلم ومعايشة الناس وقضاء حوائجهم، وينأى عن مزالق السياسة التي تصرفه عن مهامه المتمثلة في إرشاد الناس ومعالجة قضاياهم.

أما الشقُّ الآخر فهو الطيف الصوفي الثائر الذي أثر عدم الركون إلى الاستسلام، فرفع راية الجهاد ومجالدة المستعمر. وبالطبع فإن هذا التيار تمثل في الثورة المهدية وأثرها الفكري والروحي في المنطقة.

كان لهذين التيارين الصوفيين موطئ قدم راسخ في المنطقة. فالتيار الصوفي التقليدي كان موجوداً ومتمثلاً في بعض مشارب التصوف التي انتشرت في السودان. فقد أرسّت الطريقة السمانية دعائمها في المنطقة على يد الشيخ أحمد البصير الحلّوي الذي تلقى إمدادها من القطب الكبير الشيخ أحمد الطيب بن البشير. وكذلك الشيخ القرشي بن الزين الذي أخذ العهد أولاً عن الشيخ أحمد البصير، ثم زاده رباطة وثقة عن الشيخ أحمد الطيب بن البشير. وكذلك فرع البيت الطيبي في منطقة الحلّوين متمثلاً في أسرة الشيخ الصديق بن الشيخ أحمد الرفاعي بن الشيخ أحمد الطيب بن البشير بقرية مناقزا الحلّوين، رضي الله عنهم جميعاً.

أما المشرب الثاني فهو المشرب القادري بمختلف مدراسه، وبخاصة المدرسة البدرية التي توثقت عُراها بوجود بعض أفراد أسرة الشيخ العبيد بن بدر في المنطقة، وتجسد ذلك بشكل أعمق في وجود الشيخ الطيب بن السائح في المنطقة. وهناك مشرب ثالث فاضت بحوره وجادت به كف الحق على المنطقة؛ وهو الطريقة الختمية التي أدخلها الخليفة الماحي بن الفكي الجبارة وكان قد أخذها عن السيد محمد عثمان الختم، ثم فتئت تنتشر في المنطقة⁽²⁰⁾، إذ سلكها عدد كبير من أهالي المنطقة، ومنهم الفكي أحمد بن منصور رحمه الله، على سبيل المثال لا الحصر، مع أنه جاء متأخراً عن الخليفة الماحي بن الجبارة.

مثلت هذه المشارب الثلاثة الذوق العام في المنطقة. لكن فقيدنا كان أكثر تأثراً بالمدرسة القادرية البدرية، إذ كان والده وجده الأول قد ارتويا من فيوضات هذه المدرسة، طالما أن الشيخ الطيب بن السائح هو حامل لوائها وحادي عيسها. فكان من الطبيعي أن ينال فقيدنا قسطاً وافراً مما أفاض به مديرو الكؤوس على أرواح المحبين. هذا وقد كرع فقيدنا من دنان هذه المدرسة ذات المنهل العذب، فأثمر فيه ما يدفع الهمة الإنسانية إلى استشراف أطيب المعاني، فنمت فيه شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها إحساناً وعرفاناً وحباً للخير. ووفقاً لروايات الأهل؛ فإن الفقيد كان محباً لأهل الطريق، متعرضاً لنفحاتهم. وفي زهرة شبابه وحينما كان مستقراً بالقرية كان فرداً مشاركاً مع الأهل برفقة الشيخ الطيب بن السائح في بناء المساجد في مختلف مناطق الإقليم الأوسط. وقد كان جُلّ المريدين يشاركون الشيخ في هذه الأعمال الجليلة، سيما وأنّ قوامها مبني على العمل الطوعي، فليس هناك جهة رسمية تتبنى هذا العمل وتتكفل به. فهنيئاً لفقيدنا أن يدخل دائرة الذين أثنى عليهم الحق تبارك وتعالى لما بذلوه من عمارة المساجد بالبناء والتعمير بالذكر وبذل النفس والمال إذ قال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَا الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾⁽²¹⁾. هذا بالإضافة إلى شهود المواسم والأعياد في مسائد القوم بمختلف مشاربهم في المنطقة، إذ كان الأهل بالقرية والمنطقة بشكل عام يشكّلون حضوراً طيباً في مواسم القوم وبرامجهم⁽²²⁾.

نافذة فنية في حياة الفقيد عليه رحمة الله:

كانت القرية تضج بحركة فنية خلال فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وقد بدأ هذا الحراك؛ المرحوم محمد أحمد محمد الطيب، وهو الشقيق الأكبر للفنان الراحل بادي محمد الطيب وابن عم فقيدنا الأستاذ عباس، رحمهم الله جميعاً. وكذلك هناك أفراد آخرين بالقرية حملوا على عواتقهم رفع لواء الحراك الفني بالمنطقة، وأخذوا يثرون حفلات الأعراس وليالي الأُنس والثمر ومختلف الأنشطة الثقافية بقرى المنطقة، فلم يكن فقيدنا بمعزل عن هذا الحراك، إذ كان مشاركاً فيه بشكلٍ أصيل داخل وخارج القرية. وبعد أن انتقل الفنان الراحل بادي محمد الطيب إلى العاصمة الخرطوم، واستوى

على سوقه كمطرب شعبي يتغنى بأغاني الرواد من جيل الحقيبة الأول والثاني، ورواد المدارس الوترية الأولى والثانية، وأصبحت له أغنيات خاصة به، وصنع له حيزاً كبيراً في خارطة الغناء السوداني، وأفقاً شاسعاً في وجدان المستمع السوداني؛ رافقه فقيدنا في مسيرته الفنية لفترة من الزمن ليست بالقليلة، إذ عمل كعضو بالفرقة المصاحبة في وظيفة عازف للإيقاع (لوحة 4). ويقول شقيقه الأستاذ عمر الزين الطيب أنه قد انضم إلى فرقة الفنان بادي محمد الطيب في العام 1965 وظل ملازماً له حتى العام 1985 (23). ولم يكن هذا العمل عنده عبارة عن مهنة يتكسب منها المال، بل كانت هواية يمارسها مع ابن عمه بادي محمد الطيب. فلم يكن يتعامل مع المطربين الآخرين إلا في حفلات مشتركة مع الفنان بادي، أو خلال تسجيلات مشتركة في الإذاعة أو التلفزيون (24). كانت الفترة التي عمل فيها مع ابن عمه الفنان بادي محمد الطيب عبارة عن عشرين عاماً حافلة بكل ما هو جميل ورقيق وطيب. بل إنه ساكن ابن عمه الفنان بادي محمد الطيب بمنزله في حي العباسية بأمر درمان لفترة تربو عن الثلاثة عقود. وبعد أن ترك العمل في هذا المجال لم يترك خلفه إلا السيرة الحسنة واحترام الزمالة ودمائة الأخلاق، وذلك بشهادة من رافقوه في ذلك العمل.



لوحة (4) الأستاذ عباس الزين عازفاً للإيقاع مع الفنان بادي محمد الطيب.

الحياة المهنية للفقيد طيّب الله ثراه:

عاش الفقيد بين أهله في القرية فترةً من الزمن، فمنذ أن كان طفلاً إلى أن أصبح شاباً في العشرينيات من عمره؛ كان ملازماً لوالده بالعمل معه في الزراعة، فقد كان والده يملك أرضاً زراعية تقع ضمن نطاق مشروع الجزيرة المروي، فكان خير معين له في كافة أعمال فلاحية الأرض، مع العلم بأنه لم يكن متفرغاً بشكل كامل للزراعة، إذ انتقل من القرية بحثاً عن التعليم النظامي، لكنه وبشهادة الأهل لم يكن يجلس عاجزاً عن مساعدة الأهل في أعمال الزراعة في أوقات فراغه، علاوة على ذلك؛ كان لوالده دُكانة تبيع السلع الاستهلاكية لسكان القرية، فكان الفقيد يساعد والده بها (لوحة. 5). وبعد أن تخرج من المدرسة الوسطى؛ ظل يعمل بالزراعة لفترة من الزمن، إلى أن انتقل إلى الخرطوم واستقر بها وظل مرافقاً للفنان بادي محمد الطيب.



لوحة (5) المنزل الذي تربى فيه الفقيد وبجانبه دُكانة والده في قرية حلة عباس بالحلاوين.

بعد أن نال فقيدنا ما يؤهله للالتحاق بالسلك الوظيفي في القطاعين الحكومي والخاص؛ جاءت له الفرصة للالتحاق بجامعة الخرطوم للعمل بمكتبتها، وذلك في العام 1968. وظل يعمل بمكتبة السودان التي تُعد إحدى فروع المكتبة الرئيسية بجامعة الخرطوم، لكنها كانت ولا تزال مختصة في عرض أدبيات الدراسات السودانية وتقديم خدمات الاطلاع للباحثين بكافة مراحلهم

الدراسية والبحثية. وقد ظل فقيدينا ملازماً لمكتبة السودان إلى أن تقاعد للمعاش في العام 2005م. ولم يفارق المكتبة التي أحبها وأحبته وعرفها وعرفته حتى بعد سنّ المعاش، بل ظل يعمل بها إلى أن توفاه الله (لوحة 6). وفي هذه المكتبة كُتبت قصة حياته الحقيقية وعرفه الناس وظل نبراساً وأنموذجاً يُحتذى ومثالاً للإنسان الكامل. رحمه الله رحمة واسعة.



لوحة (6) الأستاذ عباس الزين الطيب في أزهى ملامح شبابه.

جانب حُرَفي في حياة الفقيد نور الله قبره:

لقد جمع فقيدينا صنوفاً من المعارف والمواهب والإبداعات. وفي هذا المقام جاء إبداعه متجسداً في حرفة الخياطة، فقد كان بذكاء والده ماكينة خياطة يعمل بها بعض أفراد الأسرة، فضلاً عن بعض الخياطين المتفرغين

لهذه الحرفة. وهنا وجد فقيدنا فرصة لتعلّم الخياطة وتفصيل الملابس، سيما الرجالية منها، فكان يستغل أوقات فراغه للعمل بالخياطة، فيخيط ملابسه وملابس الأسرة، مع العلم بأنه لم يحترفها للتكسّب، بل كان يرتادها من حين إلى آخر وعند الحاجة. وكان يجد المتعة في رتق ما تفتّق من ملابس الأسرة وإصلاح عطبها، كما كان يهتم بتفصيل ملابس الأطفال البلدية كالجلابيب وملحقاتها. واستمر يمارس هذا العمل ممارسة الفنان الذي يجد لذة في التفصيل والتطريز، وظل ملازماً له ما حانت له فرصة لزيارة القرية حيث البيت الكبير وماكينة الخياطة التي عشقها وعشقته، إلى أن وافاه الأجل المحتوم. وهذه الماكينة التي رافقته زمناً طويلاً من عمره لا تزال موجودة (لوحة 7)، وأدوات الخياطة خاصته ما زالت موجودة محفوظة في دولابه الخاص بالقرية.



لوحة (7) ماكينة الخياطة التي كان يعمل بها الفقيد في أوقات فراغه.

أَرْجُ مِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ:

تجلت أفضال الحق تبارك وتعالى على فقيدنا ورحمته به في أن جعله سمحاً طيباً عطوفاً رؤوفاً. ومن هنا؛ يمكننا حصر سماته الشخصية في خمس خصال تمثلت في: الأدب، الحياء، الزهد، قلة الحديث، الإيثار. تالله إن هذه لهي أركان التصوف التي تزيّا بها أربابُ النُّهى والقُرب من الحقّ تبارك وتعالى. وكانت هذه الخصال هي قطب الرّحى الذي دارت فيه حياته. ولا شك أن من يتحلّى بهاتيك المعاني السامية سيكون طيب النفس نقيّ السيرة، ولن تخالج دخيلته أدنى أمراض القلوب التي تعكر صفو الإنسان وتهوي به في مهاوي الدنيا الذليلة وملذاتها التي تجعل الإنسان كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، وتُبعده عن الترقّي في مدارج السمو الروحي. ولا نقول ذلك من ضرب الخيال، فقد رفدتنا الكثير من الأحداث والموافق بشذرات من طيب أخلاقه وحسن معشره. كما حاولنا استقصاء واستقراء ذلك من معارفه وأهله وأصدقائه، وكلهم يلهج بأسمى آيات الآداب والحكمة التي كان يتحلّى بها فقيدنا. ولعل ذلك يبدأ بفصائل تعامله مع أهله وأقاربه، وهو في ذلك ممثّلٌ لأمر الحق تبارك وتعالى حين قال وهو عز من قائل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾⁽²⁵⁾، وقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها: «خيركم؛ خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»⁽²⁶⁾.

نال فقيدنا أعلى درجات الحب عند والديه، فقد حظي غير الحب الفطري الذي يكنّه الوالدان لأولادهما بحضوات واسعة من الحب، وذلك نابع من تقديره وأدبه الجَمّ معهما، فقد أخبرني أحد أفراد الأسرة أن الفقيد كان عطوفاً على والديه أشدّ العطف⁽²⁷⁾، وكان باذلاً لنفسه في سبيل تلبية ما يطلبانه، ولا يتأخر عن ذلك مهما كانت الأسباب. كما كان الأبوان أشدّ حرصاً على راحته والحفاظ على ممتلكاته. وعلى الرغم من أن كل الصفات أعلاه هي مشاعر طبيعية وسجايا روتينية بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الوالدين والأبناء إلا أن فقيدنا قد زاد عليها بمزيد من حسن الخلق والحياء.

كما أبهر فقيدنا العقول بحسن فعّاله مع أفراد الأسرة القريبة والممتدة، فقد كان الصغير عنده مجاب الطلبات قبل الكبير، فما طلب إليه أحد شيئاً إلا وقضى له حاجته ولو كانت تلك الحاجة من باب الدُعابة، إذ أفنى حياته في راحة أهله وأصدقائه، وكان يبذل في ذلك كل ما يملك من غير منٍّ ولا أذى. وفوق ذلك كان الفقيدُ مشاركاً لأهله في كلّ أفراحهم وأحزانهم في القرية أو

العاصمة، إذ كان سبباً لتأدية واجب العزاء في كل أفراد القرية من أهله وغير أهله، وذلك بالسفر من الخرطوم إلى القرية. وقد استمر على ذلك حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، فلم يمنعه تقدّم السن وضعف البدن ولا الظروف المادية. كان الفقيد مثلاً نادراً في زهده وجفائه للدنيا الفانية، فلم يعرف عنه جمع المال والاهتمام به واللّهات وراءه، إذ اقتصر عمله على مكتبة جامعة الخرطوم، فكان يتقاضى مرتبه الحكومي ولا يبحث عن زيادة له، ويعيش بذلك راضياً كل الرضى، وتبدو السعادة في إهابه. فقد كان بسيطاً في أكله وشربه ومظهره وتعامله مع الناس، بعيداً كل البعد عن التكلف والانزلاق خلف ملذات الدنيا. وكان فوق ذلك يُعظّم نعمة الله وفضله عليه وعلى الناس، فقد رأيتُه بأمّ عيني وهو يجمع ما تبقى من طعامه في الكافيتريا فيأخذه معه ليأكله من يحتاجه من الناس، وإذا لم يجد أحداً من الناس نثره للطيور في حديقة المكتبة.

كان الاطلاع والمسامرة بقراءة مختلف الكتب التي تتناول شتى المجالات من أهم سمات فقيدنا عليه رحمة الله، فقد أخبرني أحد أقاربه أنه كانت له عادة ثابتة، وهي أنه عندما يخلد إلى النوم كان يتناول كتاباً ويقرأ فيه إلى أن يداعب الكرى عينيه فيضع الكتاب جانبا. وعندما يأتي إلى القرية في زيارته الروتينية كان يُحضر معه بعض كتبه الخاصة أو بعض النسخ المصورة من الكتب، ويمارس فيها عاداته المفضلة وهي القراءة قبل النوم. وفي آخر أيامه استبدل ذلك بالتركيز على قراءة القرآن الكريم، إذ كان يُكثر منها، وقد شهدناه في المسجد وهو ممسك بالمصحف على الدوام قبل وبعد الصلاة، وكثيراً ما كان يمكث لمدة من الزمن في المسجد بعد الصلاة. بل وكان كثيراً ما يختلي بربه في أوقيات السحر وتنزلُ الرحمات واقفاً بين يدي الحق عز وجلّ مصلياً وتالياً لآيات الكتاب العزيز. جاء ذلك على لسان أحد من أخذنا عنهم آثاره ومآثره⁽²⁸⁾. عاش فقيدناً حصوراً عفيفاً كاحباً لجماع النفس عن التبذّر والانحطاط. فأنعم بها من حياة كريمة لها ما بعدها من النعيم بإذن رب العالمين.

أجدني واقفاً أمام علم من الأعلام الربانية، وطوّد أشمّ كسته الأسرار النورانية، إذ أجد نفسي عاجزاً عن جمع أشتات هذه الشخصية الفريدة، وناكباً

عن الطريق التي توصلني إلى دقائق الحقائق ولطائف الرقائق التي تساعدني على التنقيب عن مكنوناتها الطيبة، فإنني أقف أمام أنموذج حي من النماذج التي وصفها الشيخ عبد الغني النابلسي حينما قال:

دخلوا فقراء إلى الدينا**وكما دخلوا منها خرجوا

إذ كانت الدنيا عنده مجرد محطة توقف عندها لبرهة لم يأخذ منها شيئاً من المتاع، فقد عاش وحيداً لم يتزوج ولم يداعب أطفالاً من صُلبه، مع أنه كان يحب الأطفال أشد الحب. وفوق ذلك لم يكتنز المال ولم يجبر خلفه. فهو رجل جاء إلى هذه الدنيا كالغيمة التي تتسلل والشمس في أوج حرّها، ورحل كالشمس التي غربت والناس في أشد الحاجة إليها خوفاً من الظلمة والبرد. عاش خفيفاً بين الأهل والمجتمع، فلم يُثقل على أحد حتى في آخر أيامه، فمن أجلى بوارق العناية الإلهية به أن انتقل إلى رحمة مولاه وهو يعتمد على نفسه في حركاته وسكناته، فلم يلزم الفراش ويصبح ثقيلاً على من يلازمونه، إلى أن أزفت لحظة الرحيل، إذ فاضت روحه إلى بارئها في الثامن من شهر رمضان المبارك من العام 1442 هـ الموافق للثاني من مايو 2020 م، ووري الثرى بمقابر الشيخ حمد النيل بأمر درمان.

كان هذا العمل فرصة طيبة أتاحت لي حتى أوثق لرمز نادر الوجود، فقد طربت نفسي أيّما طرب وأنا أقف أمام تاريخ حافل بكل ما هو جميل وأسرد تفاصيله الشائقة. وقد طِفقتُ أبحث عن كل ما يعينني على تحبير مسودة أسطر في صفحاتها حياة الفقيد الأسرية والبيئة التي نما فرعها وأزهر شبابها فيها، فلم أجد عناء في ذلك لأنني قصدت الأهل والعشيرة، ولسان حالهم يُنبئ عن السعادة التي غمرتهم وهم يروون عنه أطيب الكلام، فهو رجل قد تربع على عرش المحبة، وتسئم أسنى دُرى المجد في قلوب الأهل والأصدقاء وزملاء المهنة. ولا يسعنا إلا أن نتوجه إلى الكريم المنان؛ متوسّلين إليه بذاته وصفاته وأسمائه الحسان أن يُنزل فقيداً منازل الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وأن يُدخله في شفاعة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلّم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد النور وآله، عدد كمال الله وكما يليق بكمالهِ، والحمد لله أولاً وآخراً.

الهوامش:

- (1) التوبة، الآية: (119).
- (2) رواه الطبراني في «الأوسط» (7697).
- (3) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، الطبعة الأولى. دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 1971.
- (4) رواية شفهية، الماحي محمد عثمان منصور، السنية الحلاوين، مزارع، 2018.
- (5) محمد الطيب عمر، شجرة نسب الحلاوين، المطبعة الحكومية، الخرطوم، 1965.
- (6) McMichael, H. A. 1922. A History of the Arabs in the Sudan, In Two Volumes. Cambridge University Press.
- (7) عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الثاني، شركة أفروقراف للطباعة والتغليف، الخرطوم، 1996.
- (8) محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهديّة، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989.
- (9) رواية شفهية، حسب الرسول بابكر إدريس، الديببة عبد الله، مزارع، 2022.
- (10) عمر عثمان علي وآخرون، قيد الطبع، آل الطيب عبد الله، تاريخ مشرق وعطاء غير محدود، كتاب توثيقي لأسرة الطيب ود عبد الله.
- (11) عبد الله علي إبراهيم، الصراع بين المهدي والعلماء، الطبعة الثانية، دار نوبار للطباعة، 1994.
- (12) محمد إبراهيم أبو سليم، الخصومة في مهديّة السودان، كتاب في تاريخ فكرة المهديّة إسلامياً وسودانياً، إصدارات مركز أبو سليم للدراسات، الطبعة الأولى، الخرطوم، 2004.
- (13) رواية شفهية، الشريف أبو كساوي محمد عبد الله، حلة عباس، مزارع، 2010.
- (14) صديق البادي، معالم وأعلام، شركة المروة للطباعة والنشر، 1994.
- (15) عمر عثمان علي وآخرون، مرجع سابق، ص 8.

- (16) رواية شفوية، الأمين بشير عباس، حلة عباس، مزارع، 2021.
- (17) محمد معتصم الطيب، بدون تاريخ، عن قرينتنا حلة عباس وعن الحلاوين وأسماء بعض القرى، بحث غير منشور، بدون تاريخ.
- (18) محمد معتصم الطيب، نفس المرجع، ص 6.
- (19) محمد الطيب البصير، سلسلة أعلام الحلاوين (1) الأمير محمد الطيب البصير (ود البصير) نائب الإمام المهدي وأمير أمراء الجزيرة. الطبعة الأولى، مطابع السودان للعملة، 2010.
- (20) عثمان حمد الله، التعارف والعشيرة. دار الثقافة، بيروت. 1965.
- (21) سورة التوبة، الآية 18.
- (22) رواية شفوية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.
- (23) رواية شفوية، عمر الزين الطيب، الخرطوم، موظف متقاعد، 2021.
- (24) دفع الله محمد الطيب، أم درمان، موظف متقاعد، 2021.
- (25) سورة الشورى، الآية 23.
- (26) جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 3990.
- (27) رواية شفوية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.
- (28) رواية شفوية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.

من صور الإيمان بالواجب

قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الخرطوم

أ.د. عبد الله محمد أحمد

لكل إنسان عشق في هذه الحياة ومن عشق عمله وأحبّه وأتقنه كان حقيقاً بأن يقف بين يدي الملوك وأعظم عشق في هذه دنيا هو عشق الكتاب. وقد عاصرت في سنيّ خدمتي للجامعة أمناءً للمكتبة كانوا عوناً صادقاً للباحثين والدارسين في مضمار البحث العلمي. وها أنذا بصدد الحديث هاهنا عن أحد أبرز هؤلاء الأمناء الذين كنت أستعين بهم في البحث العلمي كما يستعين بهم كثيرون غيري خاصة في مكتبة السودان. أنشئت مكتبة السودان وهي فرع من المكتبة الأم في عام 1960 لتضم كل ما كتب عن السودان المعرفة كما تضم كل ما صنّف فيه الكتاب السودانيون في شتى ضروب المعرفة وهذه المكتبة على ثلاثة أقسام: قسم للكتب - وقسم للدوريات - وثالث للرسائل الجامعية. تقع المكتبة في إحدى المباني العتيقة ممّا خلفه المستعمر وهي من المباني التي كأنما يزيدّها تعاقب الأيام سحراً على سحر. فإذا دلفت من باب المبنى الرئيسي أخذت ببصرك دوحة غناء مثمرة ضاربة بجذورها في الأرض وهي تحنو بظلالها على المدخل، وربّما هب نسيم ذو دلال فحرك أغصانها فداعبت تلك الجدران العتيقة، فأعجب لقصة حب بين الشجر والحجر تدوم على مرّ الأيام. وفي الجانب الجنوبي من المدخل عتبات درج قديم تفضي بك إلى بهو كبير سقفه مرتفع صُفّت فيه مقاعد يجلس عليها الدارسون وعليه مهابة إذ جلست فيه أجيال من العلماء الأفذاذ على مرّ العقود المتعاقبة فإذا نظرت بعين الخيال رأيت عليها رجالاً من أبناء الوطن كانوا ملء السمع والبصر بأيديهم الطروس والأقلام يكتبون، طوتهم المنية ولكن بقيت آثارهم الدالة عليهم. وعلى يسارك باب يفضي بك إلى قاعة صُفّت فيها أرفف معدنية تحوي كل ما كتب عن السودان أو ما جادت به قرائح علمائه فهو مكان يحوي إرث هذا الوطن فكانما اجتمع عطر الدنيا كلّها فيه. فإذا طفت بالمكان صادفت كهلاً جميل المحيا وقور السمت ويبد الخطو كثير الصمت باسم الثغر في غير تكلف، لا تحس بوجوده حتى تراه فشعاره السكينة فكأنّه عابد في محرابه أو راهب في صومعته فإذا حيّته ردّ التحية في أدب جم فإذا سألته عن كتاب أو مجلة أو رسالة التمعت عيناه ولم يجب وانصرف عنك ثم ما لبث أن عاد

وفي يده ما تريد. ذلك هو الأستاذ عباس الزين. حدّثني العالمُ الجليل بروفسير إبراهيم الزين صغيرون عن تفانيه في عمله وأخبرني أنّ اسمه معروفٌ لكلِّ الدارسين الأجانب الذين يؤمُّون المكتبة ليطلّعو على كلّ آثاره من علم كُتبت عن السودان وأكثر الزائرين من المملكة المتحدة فهو يعرفُ موضعَ كلّ كتابٍ أو رسالةٍ أو مجلةٍ في المكتبة فكأنَّ عقله أرشيفٌ ضخمٌ يضمُّ كلّ ما حوته المكتبة. فطالما سَفَرَ بين الكتب والدارسين وحقيق بالذكر أنه كان أحد الذين وضع الفهارس الفنية التي تضمُّ كلّ ما حوته تلك المكتبة من آثار تيسيراً على الدارسين. لا تجده خالياً من العمل أبداً فهو في حركةٍ دائبة؛ يُعيد الكتب إلى مواضعها من الرفوف أو يُعيد ترتيبها ويتفقّد ما يحتاج إلى صيانةٍ منها أو إعادة تغليف. يقصده المؤرخ والأديب والباحث في التراث الديني والاجتماعي وغيره في شتّى فنون المعرفة. أُحيل للتقاعد في 1960م اطّلع على الخطاب في أسى ولكن ذلك الخطاب لم يكن يعني له شيئاً سوى إيقاف ذلك الراتب النزر ولكنه لن يضع خاتمةً لرحلة العشق والوفاء فداوم على الحضور إلى المكتبة كدأبه كلّ يوم يخدم الدارسين دون أن ينال على ذلك أجراً فحالُه كحال العبد الذي أعتقه سيّدُه فأبى إلا أن يقيمَ معه يخدمه كدأبه فصار عبد عتيق بعد أن كان عبد رِقٍّ فهو كما قال الشاعر.

عبدُ رِقٍّ ما حنَّ يومً لعتيق
لو تخلّيت عنه ما خلاكاً

ودام على العهد حتى اختارَه الله تعالى لجواره في الثامن من رمضان 1442هـ الموافق الخامس من أيّار 2020. وقد كان عَمِلَ بالمكتبة من عام 1968، فاكتملت له بذلك ما يزيد عن نصف قرن في العمل بالمكتبة في أقسامها المختلفة وله في خدمتها سيرة عطرة لا يختلف عليها اثنان. يعزُّ عليّ أن أدخل مكتبة السودان فأجد موضعه منها خالياً فمكأنه منها مكان القطب من الرّحا. وهو مثالٌ نادر للوفاء والتفاني في أداء الواجب وفي عشقه للكتاب فما ذُكر عباس - طيّب الله ثراه إلا وذكر الكتاب. يهونُ عنده النصب ويتناسى الأسقام في سبيل أداء الواجب. وقد كان اسمه على لسان كلّ دارس وباحثٍ في شئون السودان داخل السودان وخارجه. جميل الفعال نزرُ المَقال قليلُ المِثال لا يعرفُ الكلال ولا يعتريه الملل في سبيل خدمة العلم وأهل العلم لا يرجو جزاءً ولا ينتظرُ ثناءً. كان له دورٌ كبير في خدمة البحث العلمي لأنَّ الباحث يحتاج إلى الكتاب ويحتاج إلى أمينٍ عارف بالمكتبة، وما الجامعةُ إلا مكتبة ومن لديه مكتبةٌ في بيته فليديه جامعة. وقد كانت بروفسير فدوى عبد الرحمن على طه مديرة الجامعة بسبيل تكريمه من باب الوفاء ولكنَّ المنية كانت أعجلَ من ذلك رحم الله تعالى الأستاذ عباس الزين وأنزل على قبره من شأبيب رحمته ما تخضّر له تربةُ الجدِّ وتُضيء له ظلماتُ القبر.

عباس الزين الطيب (سادن مكتبة السودان)

دبي-الإمارات العربية المتحدة

د. محمد صلاح الدين محمد مضوي

المستخلص:

تعتبر مكتبة السودان واحدة من أهم المكتبات المتخصصة في الدراسات السودانية على مستوى العالم، وذلك لما تحتويه من كنوز معرفية قيمة ونادرة ومتنوعة. تم تأسيسها في بدايات ستينيات القرن الماضي، وذلك لتلبية احتياجات الباحثين وأساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا المهتمين بدراسة المجتمع السوداني في مختلف جوانبه. وقد تميزت المكتبة بدور مركزي ورائد في رفد المجتمع العلمي والبحثي في السودان بما يحتاجه من مصادر للمعلومات، كما امتد أثرها لخارج السودان، حيث ظلت المكتبة مقصداً للباحثين وطلاب الدراسات العليا الأجانب. وتمتاز المكتبة بتنوع مجموعاتها التي تضم الكتب والصحف والمجلات والتقارير الحكومية والخرائط والرسائل الجامعية. ظلت مكتبة السودان تلعب دوراً مهماً في توثيق التراث الفكري السوداني، حيث حرصت على القيام مهام ومسؤوليات ومبادرات المكتبة الوطنية، قبل إنشائها مؤخراً. وبذلت المكتبة جهداً كبيراً لسد الفراغ وتلبية احتياجات الباحثين، وقد نجحت في ذلك بشكل كبير، حيث كونت مجموعات تعتبر الأغنى والأشمل فما يخص الدراسات السودانية.

يشكل العاملون في المكتبة ركناً مهماً ورئيساً بما يقدمون من خدمات لروادها. يستعرض هذا المقال سيرة ومسيرة واحداً من أقدم العاملين في مكتبة السودان وأطولهم خدمة حيث استمرت خدمته لأكثر من نصف قرن، حيث يتحدث المقال عن الفقيه عباس الزين الطيب (سادن مكتبة السودان) الذي أمضى سنوات طويلة في خدمة مكتبة السودان وروادها، حيث عرف بين رواد المكتبة بالإخلاص والوفاء والتفاني في خدمة رواد المكتبة والمحافظة على مقتنياتها ومجموعاتها. كما تميز بمعرفته الدقيقة بالمجموعات وخبائها، حيث كان هو العون الرئيس لعدد كبير من مستخدمي المكتبة. كما عرف كونه عالماً من

أعلام المكتبة والحريصين عليها والساعين لتطورها ونمائها. يستعرض المقال مراحل عمل الفقيه عباس الزين الطيب في المكتبة ودوره ومحبه لعمله، مع التعرض للتقدير والثناء والعرفان الذي كان يلاقيه من رواد المكتبة من داخل السودان وخارجه، ويأتي هذا المقال عرفاناً بفضلته وتقديرًا لما قدمه من خدمات جليلة، ويمكن أن يندرج هذا المقال في إطار فئة السير والتراجم.

Abstract:

The Sudan Library, of the University of Khartoum, is considered one of the most specialized libraries to serve the Sudanese studies in the world. That is mainly due to its valuable, rare and diverse collection. It was established in the early 1960's, in order to meet the needs of researchers, and post graduate students, who are interested in Sudanese Studies. The library is known for its contribution to provide the scientific and research community in Sudan with the needed sources of information. Sudan library remained a destination for researchers from different parts of the world. The library collection includes books, newspapers, magazines, journals, governmental reports, conference proceedings, maps and postgraduate dissertations. The Library continues to play a central role in maintaining the Sudan's intellectual heritage. Moreover, the library assumes, for long time, responsibilities of the National Library, before its recent establishment. The library succeeded greatly in filling the void and created collection that is considered the world's richest and most comprehensive in relation to Sudanese Studies. The library staff constitutes an important and main pillar of the services they provide to its patrons. This article reviews the biography of one of the oldest and longest-serving workers in the Sudan Library, Mr Abbas Al Zain El Tayeb, with service lasted for more than half a century. A man who characterized by sincerity, loyalty and dedication in serving the library's users. In addition, he was known

by the keenness to preserve the library's holdings and collections. He was also distinguished by his unique knowledge of the library and its collections. The article reviews the professional career of the late Abbas Al-Zain Al-Tayeb in the library. This article was written and driven by appreciation, praise and gratitude to the late Abbas El-Zain El-Tayeb.

مقدمة:

حينما طلب إلى الكتابة حول الأخ عباس الزين الطيب، ترددت كثيراً في تلبية الطلب، لأنني وبكل صدق لست الأقرب للأخ عباس الزين الطيب، ولا الأعرف به، وخشيت أن يأتي ما أكتب دون مقام الرجل ومكانته في نفسي وفي نفوس الكثير من محبيه وزملائه وأصدقائه، ولكنني كنت متأكداً أنني أكن للرجل محبة ومعزة خاصتين، فقد عملت معه وتعلمت منه وتعرفت إليه عن قرب. كل ذلك شجعني أن أكتب ما يجيش في خاطري، وكلي ثقة أن من حولي من أهل وأصدقاء وزملاء الفقيد سيجدون لي ألف عذر في تقصيري في إعطاء الرجل حقه ومكانته، فهو في مقام رفيع عند الكل، ونسأل الله أن يكتب له مقاماً عالياً في مقعد صدق عند مليك مقتدر. لا اسمي ما كتبته ورقة علمية، إنما هي أقرب لتداعي الشاعر بلا قيود، أكتبها بحب وبإخلاص وأتمنى أن تعبر عن بعض ما أكنه ويكنه الزملاء والأهل والأصدقاء للفقيد الراحل من محبة وتقدير. وحتى يتعرف القارئ غير الملم بطبيعة عمل الفقيد في مكتبة السودان فقد اخترت أن أبدأ الورقة بالتعريف بمكتبة السودان ومكانتها بالنسبة للباحثين والأساتذة وطلاب الدراسات العليا المهتمين بالدراسات السودانية، آملاً أن يلقي ذلك بعض الضوء على ما كان يقوم به الراحل الفقيد من جهد عظيم ومقدر في عون رواد المكتبة وطلاب العلم من داخل وخارج السودان.

مكتبة السودان كنز السودان المعرفي:

نشأت مكتبة جامعة الخرطوم مع بدايات الجامعة، وعرفت أولاً بمكتبة دوجلاس نيو بولد السكرتير الإداري لحكومة السلطة الاستعمارية الذي تبرع بمجموعة قيمة من مكتبته الخاصة وكان جلها عن السودان وأفريقيا. وفقاً للمرحوم البروفيسور قاسم عثمان نور، فإنه وفي العام 1945م أهدى السير دوجلاس نيو بولد السكرتير الإداري لحكومة السودان (1939-1945م)

مجموعته الخاصة ومجموعة مكتب السكرتير الإداري إلى مكتبة كلية غردون (آنذاك) وبلغ عدد مجلداتها حوالي خمسة عشر ألف مجلد وقد أطلق على مكتبة الكلية (مكتبة نيو بولد). وحتوت تلك المجموعة الكثير من كتب السودان. لكن نواة تلك الكتب والتقارير تشكلت وتكونت بالقاهرة وبالتحديد في تلك الوحدة التي أنشأها الرائد ريجالند ونجت والذي أصبح فيما بعد حاكماً عاماً للسودان (1900-1916م) وذلك عندما كان ضابطاً في الجيش المصري (1883م) واختير ليؤسس قلم المخابرات والذي أوكل إليه جمع المعلومات والأخبار عن أوضاع السودان توطئة لغزوه فيما يعرف في التاريخ بـ (حملة النيل) وذلك في عام 1898م بقيادة الجنرال كتشنر. واستطاع ونجت خلال تلك الأعوام التي سبقت الغزو وتحرك الجيوش أن يجمع الكثير من التقارير والخرائط والكتابات ويساعد على تهريب بعض الأجانب من الذين كانوا أسرى بأمر درمان أمثال الضابط النمساوي سلاطين باشا. وقد أهدى المستر نيو بولد أيضاً تلك المجموعة القيمة من الكتب والمستندات والخرائط التي جمعها ونجت باشا والتي كانت تعرف لدى الجهات الحكومية باسم «مكتبة السكرتارية»، وهي تلك المجموعة المتخصصة في الشأن السوداني، وكانت تتبع لوحدة استخبارات السودان⁽¹⁾. وقد التفتت مكتبة جامعة الخرطوم ومنذ استلامها لتلك المجموعات لضرورة إنشاء قسم خاص بالدراسات السودانية لسد الفراغ الناجم عن غياب المكتبة الوطنية السودانية آنذاك، وقد شكلت المجموعتان اللتان أهداهما دوجلاس نيوبولد النواة الرئيسة لمكتبة السودان الموجودة حالياً. وبمجرد إنشاء القسم وتعيين الموظفين للقسم بدأت الجهود الدؤوبة والعمل الجاد لجمع وحصر كل ما هو متاح من الأعمال المنشورة عن السودان بغض النظر عن جنسية المؤلف، واهتمت المكتبة كذلك بجمع الأعمال التي ألفها مؤلفون سودانيون في مختلف التخصصات. ونمت بفضل الجهود المتصلة مجموعات مكتبة السودان لتصبح - كما اعتقد أكبر مكتبة متخصصة في الدراسات السودانية داخل وخارج السودان، حيث ضمت الكتب والدوريات والصحف ووقائع المؤتمرات المطبوعات الحكومية والخرائط والرسائل الجامعية. واستمرت مكتبة السودان منذ تأسيسها في تقديم خدمات مميزة للباحثين وطلاب الدراسات العليا وأصبحت قبلة لهم من داخل وخارج السودان.

جاء قرار إنشاء قسم السودان الذي عرف لاحقاً بمكتبة السودان في وقته، لأن إنشاء هذا القسم قد أسهم بشكل ملحوظ في حفظ الجزء الكثير من الإنتاج

الفكري السوداني، ولولا جهود العاملين في القسم، لفقدت المكتبة السودانية الكثير من المؤلفات والمنشورات القيمة التي لا تعوض ولا تقدر بثمن⁽²⁾. في العام 1966 صدر قانون الإيداع السوداني، والذي شكل دفعة قوية لجهود تنمية مجموعات مكتبة السودان حيث جاء قانون الإيداع ليلزم الناشرين السودانيين بإيداع عدد من النسخ عن أي كتاب يصدر عنهم في مكتبة السودان بالإضافة لعدد من المؤسسات الأخرى ذات العلاقة منها دار الوثائق القومية. وقد استفادت مكتبة السودان من القانون أيما استفادة، حيث كانت تخصص جولات منتظمة يقوم بها العاملون في المكتبة للمكتبات ودور النشر للتعرف على الإصدارات الحديثة ومن ثم يقومون بمخاطبة الناشرين للإسراع بإيداع نسخ من الإصدارات في مكتبة السودان.

مجموعات مكتبة السودان:

كما بذلت إدارات المكتبة المتعاقبة جهوداً كبيرة للحصول على أي من الإصدارات التي تقع في دائرة اهتمام مكتبة السودان والتي يصعب الوصول إليها عبر الناشرين، مثل الرسائل الجامعية ووقائع المؤتمرات والتقارير الحكومية والدراسات والأوراق الفنية التي تصدرها الجمعيات والمنظمات الطوعية، وغيرها من مصادر المعلومات المهمة بالنسبة للباحثين. وتمثل الرسائل الجامعية المقدمة للدراسات العليا في الجامعات السودانية وغير السودانية أحد أهم ما يميز مجموعات مكتبة السودان. ويقدر عدد مجموعة الرسائل في مكتبة السودان بما لا يقل عن 25 ألف رسالة ماجستير ودكتوراه منحت من جامعة الخرطوم، والجامعات السودانية، بالإضافة لعدد كبير من الرسائل الجامعية الممنوحة من مختلف جامعات العالم. تعرف الرسائل الجامعية المقدمة لنيل الدرجات العليا أنها من مصادر المعلومات الأولية، لأنها تقدم معلومات أولية أصيلة وتنسب نتائجها للباحث الذي أعد الرسالة، لذلك تعتبر مصدراً لا غنى عنه بالنسبة للباحثين وطلاب الدراسات العليا. وتأتي موثوقية الرسائل الجامعية باعتبار ما تقدمه من معلومات ونتائج تأتي بعد جهد علمي متصل لعدد من السنين، بمنهجية علمية ودراسة متعمقة ومتأنية، كل ذلك يجري تحت الإشراف الأكاديمي الدقيق، يتبع ذلك إجراءات علمية دقيقة يخضع بعدها الباحث للامتحان وتقرر لجنة علمية متخصصة في منح الدرجة العلمية من عدمها. ويعتبر الوصول للأطروحات المقدمة للدراسات العليا أحد أهم التحديات التي

تواجه الباحثين، لمحدودية النسخ التي يتم إنتاجها، حيث ينتج الطالب نسخ لا تتجاوز في عددها أصابع اليدين من الأطروحة. وبذلك يصبح الوصول لتلك الأطروحة تحدياً كبيراً مع أهمية ما تقدمه من معلومات.

استطاعت مكتبة السودان وبفضل الكثير من الجهود والمتابعة أن تحول هذا التحدي لفرصة، فقد بذلت المكتبة جهداً حثيثاً ومكثفاً لجمع الرسائل والأطروحات الممنوحة من كلية الدراسات العليا في جامعة الخرطوم، عبر الاتفاقيات المؤسسية - منذ زمن بعيد بين مكتبة الجامعة وعمادة كلية الدراسات العليا، وضمنت تلك الاتفاقيات إيداع أكثر من نسخة من كل الأطروحات المقدمة لكلية الدراسات العليا في جامعة الخرطوم. وفي نفس الاتجاه سعت مكتبة الجامعة لتقنين الحصول على نسخ من رسائل الدراسات العليا الممنوحة للمبتعثين السودانيين بالجامعات العالمية وذلك عبر اتفاقية مع وزارة الخارجية السودانية بحيث تشرف السفارات والقنصليات السودانية بالخارج على الحصول على نسخ من الأطروحات وإرسالها لوزارة الخارجية، ومنها لمكتبة السودان. كذلك بذلت مكتبة الجامعة جهوداً مقدرة للحصول على تمويل من مؤسسة فورد الأمريكية تم تخصيصه للحصول على نسخ من الأطروحات الجامعية التي قدمت في الجامعات الأمريكية والتي تناولت موضوعات عن السودان أو التي أعدها مبتعثون سودانيون للجامعات الأمريكية.

كذلك وبفضل السمعة الممتازة التي حققتها مكتبة السودان عبر مجموعاتها الشاملة وخدماتها المتميزة، أصبحت المكتبة تتلقى نسخاً عن أطروحات انجزها باحثون غير سودانيون تقديراً لدور مكتبة السودان في مساعدتهم خلال مراحل إعداد دراستهم لنيل الدرجة العلمية. وكذلك يقوم عدد كبير من الباحثين السودانيين بتسليم نسخ من رسائلهم الجامعية لمكتبة السودان لضمان توفرها للباحثين وطلاب الدراسات العليا من داخل وخارج السودان. بذلك نجد أن الرسائل الجامعية الممنوحة من الجامعات غير السودانية من مختلف الدول في العالم قد شكلت إضافة نوعية كبيرة ومقدرة لبقية المجموعات التي تضمها وتوفرها مكتبة السودان. كما شهدت مكتبة السودان جهوداً كبيرة في بناء قاعدة بيانات إلكترونية تضم الرسائل الجامعية، حيث وابتداءً من العام 2003 تم توفير نسخة رقمية من الرسائل الجامعية.

تضم مكتبة السودان بالإضافة للرسائل الجامعية مجموعات متنوعة من المنشورات السودانية النادرة مثل مجموعات الصحف السودانية منذ

الخمسينات والمجلات السودانية وميزانيات حكومة السودان منذ الحكم الإنجليزي، ومجموعات كبيرة من المؤلفات السودانية، بالإضافة لأعداد كبيرة من التقارير الفنية والدراسات والاحصاءات والمطبوعات الحكومية وعدد من الخرائط. كما تمتلك المكتبة مجموعة من المواد المحفوظة في شكل المصغرات الفلمية (المايكروفيش). وعلى صعيد آخر فقد أسهمت مكتبة السودان في توثيق الإنتاج الفكري السوداني، حيث تم إصدار الفهرس المصنف لمجموعة السودان وملاحقه وهو بمثابة الببليوغرافية الوطنية التي تعنى برصد وحصر الإنتاج الفكري السوداني.

شهدت مكتبة السودان تطوراً كبيراً في بداية العام 1995، حيث تم تخصيص مباني منفصلة لمكتبة السودان بمساحات واسعة تتسع لتوسع المكتبة الدائم وتغطي احتياجاتها المستقبلية، وبدأت جهود في حوسبة المكتبة، وتحويل فهارسها لقواعد بيانات إلكترونية تعين الباحثين والعاملين على التعرف على المجموعات بدقة وتسهيل مهمة استرجاع المعلومات وتوفير الكثير من الجهد. ومكتبة السودان بما تذخر به من مجموعات نادرة فإنها تعتبر بمثابة خزانة الإنتاج الفكري السوداني، وتشكل العمود الفقري لذاكرة الوطن، مما يحتم ضرورة الاهتمام بها ودعمها ووضع الخطط التي تكفل لها الموارد المالية اللازمة لتطويرها ومساعدتها للارتقاء بخدماتها ومجموعاتها حتى تحافظ على الثقة التي اكتسبتها عبر العقود، وتزيد من خدمة قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في السودان. وهو أمر غاية في الأهمية، ويحتاج لاستقطاب الدعم من المؤسسات الدولية المعنية بالشأن الثقافي مثل منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم والمنظمات الشبيهة على المستوى الإقليمي.

عباس الزين الطيب، شخص فريد:

قليل من البشر من تظل ذكراه عالقة في أذهان الناس وأن ترتبط ذكراه بتلك المؤسسة بعد تركه للعمل فيها، فطبيعة المؤسسات أن تستمر وتمضي دون توقف ولا التفات للوراء، حيث تنزع المؤسسات دوماً نحو بناء وتطوير العمليات والخدمات على أساس من المهنية والمؤسسية، بحيث لا تتوقف المؤسسة عن دورها بغياب شخص، وهذا هو النهج الإداري السليم والمتبع، الذي يضمن عدم توقف أي مؤسسة عن تقديم خدماتها للجمهور، لكن وبرغم كل هذه الاحترازات تجد هنالك أنواعاً من البشر استطاعوا أن ينحتوا

أسماءهم في ذاكرة المؤسسة بجليل الخدمات التي قدموها، وتفانيهم واخلاصهم ومحبتهم للعمل الذي يقومون به. فقيدنا العزيز/ عباس الزين الطيب من أولئك القلائل الذين خدموا بإخلاص وتفاني ومحبّة مكتبة السودان بجامعة الخرطوم ورواد مكتبة السودان من أساتذة الجامعات والباحثين وطلاب الدراسات العليا من مختلف بقاع السودان ومؤسساته وجامعاته، بل وامتدت علاقاته مع عدد كبير من الباحثين غير السودانيين. كل أولئك الذين جمعهم حبهم للعلم وحرصهم على التحصيل والبحث الأكاديمي قصدوا مكتبة السودان، قبله الباحثين، فالتقوا بساكن المكتبة الفقيد عباس الزين الطيب الذي امتاز بمعرفة فائقة ودقيقة بمجموعات مكتبة السودان اكتسبها من محبته لعمله واخلاصه في خدمة الباحثين والعلماء من رواد المكتبة، ليس هذا فحسب ما حُبب الجميع في الفقيد عباس الزين الطيب، فقد عرف بين الجميع بالعديد من الصفات الحميدة والفريدة، فقد اشتهر ببشاشته وصفاء نيته وابتسامته التي لا تخبو ولا تختفي، فما أن تجتمع به وتتعرف عليه إلا ويأسرك بنبله ودماثة أخلاقه مقرونة بحبه لعمله وحرصه على تقديم كل ما هو ممكن من مساعدة لرواد المكتبة ومستخدميها.

ولد عباس الزين الطيب في (حلة عباس) بالجزيرة الخضراء في العام 1944 ودرس المرحلة الأولية بقرية مقدر في الجزيرة، ثم درس المرحلة الوسطي في الأعوام من 1956 وحتى عام 1960 بمدارس الأحفاد في امدرمان. والتحق الفقيد بمكتبة جامعة الخرطوم في العام 1968 واستمر متفانياً ومخلصاً في خدمة العلم والعلماء لأكثر من نصف قرن، وبالرغم من أن الفقيد قد أحيل للمعاش في العام 2005، إلا أنه ظل يعمل في المكتبة متطوعاً حتى توفاه الله لرحمته في الثاني من مايو 2020، وتم دفنه في مقابر الشيخ حمد النيل بأم درمان⁽³⁾.

ضرب عباس الزين خلال هذه الفترة الطويلة مثلاً للموظف المثالي، فهو لم يكن فقط شديد الالتزام بساعات العمل الرسمية، فقد كان دائماً من أول الواصلين للمكتبة، وآخر المغادرين لها، لكنه وفي كثير من الأحيان كان يواصل عمله إلى ما بعد ساعات العمل الرسمية لمساعدة الباحثين وطلاب العلم، ولو على حساب وقته الخاص.

كان عباس الزين اجتماعياً من الطراز الأول، محباً لكل متواصلاً معهم وكان بحكم عمله يمتاز بشبكة واسعة جداً من المعارف من الطلاب وأساتذة

الجامعات والباحثين ومن الدوائر الحكومية. وكانت له مقدرة ملفتة للاحتفاظ بالأسماء وتذكرها، فكان دائماً ما يسابق المقبل عليه مرحباً به وذاكراً اسمه، ولعل هذا مما يترك أثراً جميلاً لدى رواد المكتبة. وفي المقابل كان عباس الزين يتربع في قلوب زملائه وأصدقائه، يحبونه ويحترمونه ويشهدون له بالوفاء. وكان هو كالعهد به وفيماً لهم يبادلهم حباً بحب، واحتراماً باحترام، ويحرص على تفقدتهم ومواصلتهم، فلا يغيب أحدهم إلا وتجده مبادراً بالسؤال عنه والاطمئنان عليه وعلى صحته. من أهم الصفات التي تميز الفقيد عباس الزين الهدوء الذي هو صفة تلازمه دوماً، فمن النادر أن تسمعه يتحدث بصوت مرتفع، فحديثه دائماً لمن معه أقرب للهمس منه للجهر. والهدوء صفة تشابه الفقيد عباس الذي هو هادئ النفس دائماً. كما أعتقد أن طبيعة عمله في المكتبة ولفترة طويلة من الزمن قد أكسبته حساسية مرهفة تجاه الهدوء وعدم ازعاج القراء في المكتبة، حيث تتلزم دوماً صفة الهدوء مع قاعات المكتبات التي تسعى لتهيئة الجو المناسب للقراءة والدرس.

أمضى عباس الزين خمسة عقود في جامعة الخرطوم من خلال عمله في مكتبة الجامعة وتحديداً في مكتبة السودان التي أمضى فيها جل سني خدمته بالمكتبة. كان يتسم بالمهنية العالية حيث كان متوازناً بين رغبته في تقديم العون والمساعدة لرواد المكتبة وبين حرصه الشديد على سلامة مقتنيات المكتبة ومجموعاتها، كان بشوشاً ويقدم كل ما هو ممكن لخدمة الرواد، لكن مع الالتزام التام باللوائح والقوانين التي تحفظ مجموعات المكتبة ومقتنياتها من الضياع.

من أهم إسهامات الفقيد عباس الزين الطيب في المكتبة قيادته لفرق العمل التي اشتركت في نقل مجموعات المكتبة من مبناها القديم في مبنى مكتبة الجامعة داخل الحرم الجامعي للمبنى الحالي في شارع الجمهورية. كان عباس الزين من أكثر المتحمسين لنقل المكتبة وذلك لسعة ورعاية المبنى الجديد، وكثيراً ما كان يتساءل عن سبب التأخير وبطء الإجراءات، وكان يستعجل الانتقال للمباني الجديدة، كما كان من أكثر الناشطين في نقل المجموعات، وقد أسهم هو والأستاذ عبد المجيد الصديق وعيسى حسب الله وبقية الشباب من العاملين في المكتبة في نقل الكتب بكل حرص ودقة ومهنية. كان الخوف أن تفقد المكتبة بعضاً من مجموعاتها النادرة، أو يتم وضعها في المكان الخطأ، ولكن الحرص والمتابعة والدقة كانت كفيلة بإكمال المهمة على أفضل وجه.

وقد قامت الفكرة على ترحيل مجموعات في شكل دفعات محددة ومتتالية من الكتب يتم تغليفها وربطها ثم ترقيمها بالتسلسل، وكان على العمال ترحيل الكتب وتنظيمها وفقاً لنظام الترقيم المتسلسل من المكان القديم للمكان الجديد، ونتج عن ذلك نظام فعال في النقل دون إرباك، وكان للفقيه عباس وزملاؤه الفضل في إنجاز عملية الانتقال بسهولة ويسر وسلاسة.

سر تذكر الناس وتعلقهم بعباس الزين:

أعتقد وبشكل جازم أن شخصية عباس الزين المتصالحة مع النفس المحبة للخير الساعية دوماً لمساعدة الغير والسؤال عنهم ومواصلتهم تشكل حجر الزاوية في نجاح الفقيه عباس الزين أن يكسب محبة واحترام الجميع. كنت خلال فترة عملنا معاً ألاحظ أن عباس يمارس عمله اليومي في مكتبة السودان بمحبة وشغف باديين للعيان، فلم تكن المهام التي يؤديها مرتبطة بالأجر والوظيفة، إنما هي مهام يحبها ويملاؤه شغفه بها، لذلك فهو يستمتع بما يقوم به، بغض النظر عن العائد. كان زاده في مواجهة الحياة وقساوتها؛ محبة الناس وكلمة: «شكراً عم عباس»، يسمعه من طالب أو باحث فتطربه كما أطربه ابن عمه الصداح (بادي محمد الطيب)، وتمتعه تلك الكلمات البسيطة كما أمتعته كلمات الحقيبة الراقية التي كان يمارسها هواية للترويح عن نفسه والمجتمع من حوله.

إذا وصف علماء التنمية البشرية والتطوير الذاتي السعادة بأنها (Do what you love, and love what you do)، ويقصدون بها (أن سعادة المرء أن ينخرط المرء فيما يحبه من الأعمال، كما أن على المرء أن يحب ما يعمل) فإن ذلك بالنسبة لي، كان هو سر سعادة الأخ عباس الزين ونجاحه في عمله وصفاء سريره وطلاقة وجهه وبشاشته ودوام ابتسامته في وجه الجميع. فقد أحب عمله بعمق وتعلق به، وكان ذلك الحب دافعاً له ليوصل العمل حتى بعد وصوله للمعاش الإجباري. كان محركه هو شغفه بمساعدة الناس وخدمتهم وإعانتهم فيما يقومون به من دراسة وبحث علمي. وهي حالة تكاد تتشابه مع حالة الصوفي الولهان في حال تعبد وتقرب ممن يحب. هي حالة تنتشله من كل الدنيا، لدنيا أخرى لا يشعر بها إلا من عاش تلك الحالة من الهيام واللذة والشغف. ولذا فقد حق لنا أن نسمي الفقيه عباس الزين الطيب (ساون مكتبة السودان) بلا منازع، فقد أمضى حياته وسني عمره بين أرففها وجناباتها في خدمة روادها من العلماء والباحثين.

كان عباس ملمماً بتفاصيل وخبايا وأسرار مكتبة السودان، وجاء ذلك نتيجة لعمله لفترة طويلة بين هذه المجموعات واهتمامه بها وحرصه عليها، وقضاءه وقتاً طويلاً بين الأرفف معتنياً بالمجموعات وتفقدتها وترتيبها. وكذلك اهتمام عباس بتنمية المجموعات وتطويرها من خلال متابعتها الدائمة للإيداع القانوني في المكتبة، ومتابعة دور النشر المختلفة، وتولييه لعمليات الشراء للكتب الصادرة حديثاً. أكسبه كل ذلك معرفة بالمجموعات والكتب والمنشورات الحكومية والتقارير الحكومية، لذلك فقد كان خير معين- بالإضافة لزملائه الآخرين، في تلبية احتياجاتهم وعادة ما يأتي للباحث بعدد من العناوين أكثر مما يتوقع الباحث.

بالرغم من أن مكتبة السودان تعتمد على نظام الأرفف المغلقة والتي لا تسمح لمستخدم المكتبة بالدخول للمكتبة والتجول بين الأرفف بل يعتمد القارئ بشكل حصري على مساعدة العاملين في المكتبة للحصول على ما يريد بعد تحديد ما يطلبه من خلال استخدام فهرس المكتبة. وبالرغم من أن هذا النظام يلقي بالعبء على العاملين، لكثرة طلبات القراء وتنوعها، إلا أن طبيعة مجموعات المكتبة وندرتهما تحتم عدم فتح الأرفف لضمان عدم ضياع الكتب وكذلك لضمان إعادة كل كتاب لمكانه الصحيح، حيث يتم الترفيه بواسطة العاملين في المكتبة بشكل يومي حتى يتم التأكد من عودة كل كتاب لموقعه. بالرغم من كثرة الطلبات التي يليها العاملون في المكتبة، وعلى رأسهم الأخ الفقيه عباس الزين، إلا أنهم أثبتوا وعبر السنوات الطويلة كفاءة عالية ومقدرة واضحة في التعامل مع احتياجات القراء والباحثين. كان لنظام الأرفف المغلقة دور في تعريف العاملين بالمكتبة على مواقع المجموعات وأنواعها.

كان الفقيه عباس الزين وهو أحد أقدم العاملين ورفيقه الأستاذ عيسى حسب الله وبقيّة الطاقم العامل بالمكتبة. كان الفقيه عباس الزين بما يميزه من معرفة دقيقة بمجموعات المكتبة بمثابة (الفهرس الآلي للمكتبة) في ظل غياب الفهارس الآلية آنذاك، ويمكن أن نسميه بلغة اليوم (جوجل مكتبة السودان) بسبب قدرته على التعامل مع أسئلة واستفسارات الباحثين الخاصة بتوفر مصادر المعلومات ذات العلاقة بموضوعاتهم البحثية.

ما كان يقوم به عباس الزين بلغة اليوم هو عمل (أخصائي المراجع) أو ما يعرف باللغة الإنجليزية (Reference Librarian)، حيث كان هو المراجع الرئيس لكثير من الباحثين والأساتذة وطلاب الدراسات العليا.

كان عباس الزين استباقياً في تلبية احتياجات رواد المكتبة من الطلاب والأساتذة، حيث كانت تردنا بعض القوائم من بعض دور النشر أو ترشيحات بكتب ليتم شراءها للمكتبة، كل ما وقع نظر الأستاذ عباس في كتاب، يذكر باحثاً مهتماً بالموضوع ويرجونا أن نسرع في إجراءات شراء الكتاب ليلبي احتياجات الطالب من المعرفة. وهو بذلك يطبق بعضاً من قوانين رانغاسن في المكتبات والتي منها أن لكل كتاب قارئ ولكل قارئ كتاب.

كانت معرفة عباس الزين الجيدة بالمجموعات ومحبه لعون الطلاب والباحثين تجعله حريصاً على إبراز مكنونات المكتبة وثمان صيدها من مصادر المعلومات والمعارف، تحدثه عن بحثك واحتياجاتك، فتجده ملماً بما لم تعرفه أنت المتخصص فيأتيك بالكتب والرسائل والمقالات وغيرها من المفيد والمعين على استكمال البحث على أحسن وجه. يقوم بذلك برحابة صدر ومحبة نادرة، كان ذلك شأنه مع من يعرف أو من يأتيه لأول مرة، فهو سادن العلم والمعرفة. مما يجعل الباحث والطالب متعجباً سعيداً يردد بيت الشعر (مع تبديل بسيط) ويأتيك (بالأسفار) ما لم تزود. وفي المقابل ظل رواد المكتبة من طلاب وباحثين وأساتذة من داخل وخارج السودان يشعرون بالامتنان والشكر للعون الكبير الذي يقدمه لهم الفقيه عباس الزين خلال دراستهم، لذا فإننا نجد عدد كبيراً من الباحثين وطلاب الدراسات العليا وبعض المؤلفين السودانيين والعرب والأجانب قد أفردوا حيزاً من (الشكر والعرفان) ضمن كتبهم ورسالتهم للتعبير عن شكرهم وامتنانهم للفقيه عباس الزين وذكره بالاسم، ضمن من يتوجب شكرهم وذكرهم، وما ذلك إلا لتفاني الفقيه في خدمتهم وعونهم. وعند رحيله افتقده كل المجتمع العلمي في جامعة الخرطوم والجامعات السودانية الأخرى، وتبادل العلماء الخير الحزين بانتقاله للدار الآخرة، وصلوا عليه وأكثروا له الدعاء من قريب وبعيد. ونعاه عدد كبير من محبيه وعارفي فضله، فقد نعاه البروفيسور أحمد إبراهيم أبوشوك، والدكتور عبد اللطيف البوني، وغيرهما من الكتاب والصحفيين الذين عرفوه.

خاتمة:

مثل الأخ الفقيه عباس الزين الطيب نموذجاً فريداً للموظف المحب لعمله المتفاني فيه والذي يجود الأداء محبة في وظيفته وعوناً لرواد المكتبة من الطلاب والأساتذة الباحثين، ونحن إذ نكتب هذه الأسطر القليلة في حقه فإننا

نقُرُّ بقصر قامات كلماتنا أن تفي الرجل حقه، وأن تصل لمقامه، ولكنني حين قبلت التكليف بالكتابة عن مسيرة الأخ عباس لم أقبل لأنني الأجدر بذلك ولا لأنني الأقدر على ذلك، بل قبلته محبة مني لأخ وصديق عزيز عرفته عن قرب وعملنا معاً في زمن جميل، وتعلمت منه معاني حب الآخرين وعونهم ومساعدتهم، فكان القرار أن أكتب ما يجيء في خاطري لأنها فرصة لن تتكرر للتعبير عن محبتنا للفقيه عباس الزين الطيب، واعترافاً له بالجميل وتقديراً لما ظل يقوم به لأكثر من خمسين عاماً في خدمة العلم والعلماء والباحثين، بحب وشغف وتفاني. ونختتم هذا الحديث بشكر القائمين على هذه المبادرة الكريمة لرفع ذكر رجل كريم، ونسأل الله أن يجزي الأخ عباس الزين خير الجزاء وأن يرفعه مكاناً علياً بين الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، وأن يجعل كل ما قدمه لطلاب العلم والباحثين صدقة جارية ينتفع بأجرها ليوم الدين.

الهوامش:

- (1) قاسم عثمان نور، مكتبة السودان بجامعة الخرطوم، عمود أوراق وأقلام، صحيفة آخر لحظة السودانية، تاريخ النشر: الأحد، 7 فبراير 2010.
- (2) محمد صلاح الدين محمد، دور مكتبة السودان في حفظ التراث الفكري السوداني، مجلة الثقافة السودانية - مجلة فصلية محكمة تصدر عن الهيئة القومية للثقافة والفنون، الخرطوم، العدد 32/33 (مزدوج)، 1997م ص 79-87.
- (3) عمر الزين الطيب، حوار عبر الواتساب حول حياة الفقيد عباس الزين خلال شهر ديسمبر 2021.

انطباعات حول شخصية الأستاذ عباس الزين الطيب

قسم الجغرافيا- كلية الآداب
جامعة أم درمان الإسلامية

د. رشا أحمد محمد علي عشاري

مستخلص:

تمحورت هذه الدراسة حول انطباعات بعض الشخصيات التي كان لها علاقة وطيدة مع الراحل المقيم المرحوم عباس الزين الطيب رحمة الله عليه، وعن حياته العملية معهم في مكتبة السودان التابعة لجامعة الخرطوم طيلة فترة العمل معه حتى وفاته، إضافة إلى بعض الملامح عن حياته الأسرية. تم جمع المعلومات عن طريق الدراسة الميدانية والمقابلة الشخصية. وقد كان شخصية محبوبة له موهبة فنية وقدرة فائقة في معرفة وحفظ أماكن الكتب والمراجع والرسائل الجامعية المختلفة سواء كانت باللغة العربية أو الإنجليزية. توصلت الدراسة إلى إن الأستاذ عباس الزين عليه الرحمة والمغفرة كان شخصية مميزة في مكتبة السودان، فهو معروف لدى جميع الطلاب والباحثين والأساتذة السودانيين والأجانب. وقد أفني عمره في خدمة الناس ومساعدة القراء. تقبله الله قبولاً حسناً وجعله مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

Abstract:

This study focused on the impressions of some personalities who had closed relationship with the late Abbas Al-Zein Al-Tayeb, with trying to shed a light on his working life and his inter-action with them in the Sudan Library of the University of Khartoum throughout the period of his working with them until his death, moreover, it attempts to spot some features about his family life. It has collected the information by field study and personal interview. Late Abbas was so adorable personality, that with an artistic talent and a superb ability to know and memorize the locations of various books, references and

university theses, whether they were in Arabic or English. The study concluded that Late Abbas Al-Zein was a distinguished figure in the Sudan Library, as he is known to all Sudanese and foreign students, researchers, and the universities staff members. He has spent his life serving people and helping readers. May God accept him well.

كلمات مفتاحية: عباس الزين - مكتبة السودان

المقدمة:

ولد الأستاذ عباس الزين الطيب بقرية حلة عباس ريفي المعلق بولاية الجزيرة، عام 1944م. ثم انتقل إلى العاصمة الخرطوم، والتحق بمدرسة الأحفاد المتوسطة في الفترة من 1955-1960م. تم تعيينه في مكتبة جامعة الخرطوم عام 1968م وظل بها إلى أن تم تحويلها إلى المبنى الحالي المعروف بمكتبة السودان التابع لجامعة الخرطوم عام 1995م، وظل بها حتى وفاته في الثاني من مايو 2020م.

ذهبتُ إلى مكتبة السودان، وأول من التقيت به هو الأخ جعفر ميرغني (صورة 1)، والذي عمل مع الأستاذ عباس الذين منذ عام 1995م، وقد تحدث معي والدموع في عينيه، وذكر أن الأستاذ عباس أشتهر بطول البال، وكان يقوم بخدمة كل الطلاب والأساتذة الذين يأتون إليه بكل سعادة حتى الذين لم يجدوا المعلومة في المكتبة كانوا يخرجون منها وهم راضين كل الرضا، وأحياناً يدلهم على مكان ما يريدون معرفته في المكتبات الأخرى.

كما ذكر أن الأستاذ عباس كان يعلمها نأمة والمكتبة يخرج منها وهوم اللغة الإنجليزية، ويتعامل مع الطلبة الأجانب بكل أريحية، وأنه كان بمثابة الأب الروحي والأخ لكل من يعمل معه، وأنه كان فهرساً للمكتبة، فهو عارف وملمٌ بكل صغيرة وكبيرة في أضاير المكتبة.

عند حضور أي طالب يحتاج إلى تصوير أحد الكتب فإنه يأخذ الكتاب بنفسه وكان لديه كيساً يسميه زملاءه (مُخَلَّية) يجمع فيها الكتب المراد تصويرها يأخذها معه نهاية اليوم إلى إحدى مكتبات تصوير الأوراق في السوق العربي، ثم يقوم في صباح اليوم التالي بالذهاب إلى مكتبة التصوير في طريق عودته ويحضرها معه. وكان من شدة حبه للمكتبة وإخلاصه لها يذهب إلى الجامع الكبير بالخرطوم أو البوستان بأم درمان ويشترى كل كتاب تحتاج إليه المكتبة ليستفيد منه طلبة العلم.

كما ذكر الأخ جعفر ميرغني عند لقائي به في الأول من مارس 2022م أن (عم عباس) كما يسميه زملاءه: (بنك الموظفين) فلا يحتاج موظف في المكتبة إلى مبلغ من المال إلا وأعطاه إياه، وبعد وفاته حضر كمية من الزملاء الذين استلقوا مبالغ منه واحضروها إلى الإخوة بالمكتبة الذين قاموا بدورهم وإرجاعها إلى أسرته. وأوضح أنه حتى بعد نزوله للمعاش إلا أنه لم ينقطع عن المكتبة حتى وفاته⁽¹⁾.



صورة (1) جعفر ميرغني زميل المرحوم عباس الزين بمكتبة السودان. التقيت في نفس اليوم بالأخت أميرة عبد العزيز حمدتو الموظفة بمكتبة السودان، والتي ذكرت أن الأستاذ عباس الذي كان الصديق والأب، وكان يأتي بعد نزوله للمعاش إلى المكتبة يومين في الأسبوع لمساعدة زملاءه ويعينهم على إنجاز بعض الأعمال، كما ذكرت أنه قام بجمع الكتب الصغيرة والمقالات غير المفهرسة مع أحد الزملاء وقاموا بفهرستها ووضعها في ملف كبير حتى يسهل على كل من يريدها الحصول عليها، وذكرت أنه لم يتأخر عن طلب خدمة أو نصيحة طلبت منه⁽²⁾.

ذكر الأستاذ سامي محمد حسين رئيس قسم التجليد (صورة 2) والذي رافق الأستاذ عباس الزين رحمه الله عليه الأكثر من 35 عاماً؛ أنه كان رجلاً بشوشاً يساعد كل طالب وأستاذ يأتي إليه من جامعة الخرطوم أو من أي جامعة أخرى، وأنه كان يعرف كل كتاب عن السودان، وكان يأتي إليه كل محتاج أو من ضائقة مالية. وواصل السرد وقال إنه في إحدى المرات كان يحتاج إلى مبلغ ما نسبه لظروف المدراس ولجأ إلى العم عباس الزين، وبالفعل أقرضه المال، ولم يسأله عن ذلك المبلغ البتة. كما ذكر أنه قام بمساعدة أحد الزملاء لاحتياجه لمبلغ ما نسبة لمرض والدته وشاءت الأقدار أن توفيت والدته ذلك الزميل فانقطع لفترة عن المكتبة، وأنه فوجئ بعد فترة بوفاة عم عباس الذي أصبح المبلغ المستلف منه مديونية فقام بإرجاعها إلى أهله⁽³⁾.



صوره (2) سامي محمد حسين-رئيس قسم التجليد بمكتبة السودان.

كما أوضح أنه عند قيام مؤتمر الحدود في العام (1975-1976م)؛ لم يجد الباحثون معلومات عن هذا الموضوع إلا لدى الأستاذ عباس الزين. وأضاف أن هناك مواقف كثيرة شهدتها للراحل عم عباس منها أن أحد الأساتذة كان يبحث عن رواية (أغلى من حياتي) التي تمت مصادرتها من المكتبة نسبة لظروف سياسية في عهد الرئيس جعفر محمد نميري رحمه الله لتحويلها إلى فيلم، ولم يجدها في مكتبة السودان، فظل الأستاذ عباس الزين يبحث عنها حتى وجد صاحبها في مدينة سنجة بولاية سنار وتواصل معه حتى حصل

على تلك الرواية. وأن هناك كثير من الكتب قام بتصويرها بنفسه وعلى حسابه الخاص حالياً يتم جمعها لتكون وفقاً لروحه الطيبة (صورة 3).

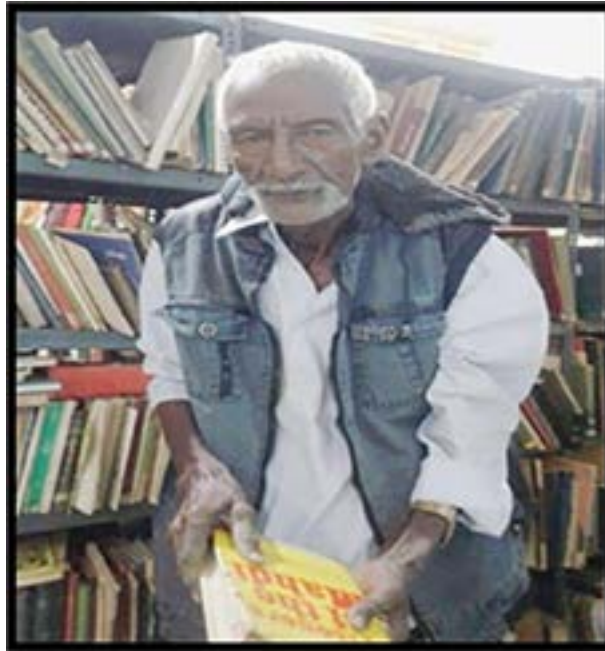


صورة (3) مجموعة الصور التي قام بتصويرها الأستاذ عباس الزين. كما ذكر سامي محمد حسين أن الأستاذ عباس الزين تم تكريمه في المؤتمر الخامس للمكتبات الرقمية برعاية الدكتورة تهاني عبد الله وزير الاتصالات والتكنولوجيا والمعلومات في أكتوبر 2015م (صورة 4). وختم بأن الأستاذ عباس الزين كان رجل علامة أفنى عمره من أجل المعلومة وخدمة الطلاب.



صورة (4) تكريم الأستاذ عباس الزين في المؤتمر الخامس للمكتبات الرقمية، 2015.

كما التقيتُ في ذلك اليوم بالأستاذ كمال حسن المسؤول عن قسم التزويد الذي أوضح أن الأستاذ عباس الزين شخص متفرد لا علاقة له بالبشر الموجودين حالياً، وأنه موسوعة متحركة وأن أسعد لحظاته عندما يقوم بخدمة الطلاب، ويجد ما يحتاجون إليه لذلك كانت علاقته مميزة مع الجميع (صورة 5).
وشاء القدر صدفة ومن حسن الحظ أن قابلت الأستاذة مها إبراهيم هارون- المحاضر بجامعة بخت الرضا، كلية العلوم، قسم الكيمياء، والتي جاءت لإلقاء التحية والسلام على الأستاذ عباس فأخبروها بوفاته، فتحدثت وهي تبكي عن تجربتها معه وأنها عند بداية دراستها للماجستير في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا احتاجت إلى بعض المعلومات فحضرت إلى مكتبة السودان، وأول من التقت به هو الأستاذ عباس الزين رحمه الله، والذي قدم لها الكثير من الإفادات، كما أشار لها إلى الأماكن التي يمكن أن تجد فيها معلومات أكثر عن بحثها، وأنها لا تستطيع أن تصف شعورها نحو ذلك الشخص الموجود في دواخلها، وأوضحت أن سيرته الفاضلة ستظل باقية، وقالت إنه ذخيرة علمية وموسوعة رحلت عنا⁽⁴⁾.



صورة (5) صالة المكتبة التي كان يتواجد بها عباس الزين.
تم تحويل هذه الصالة حالياً إلى صالة للقراءة والاطلاع (صورة 6).



صورة (6) صالة القراءة والاطلاع الحالية.

في الثالث من مارس 2022م أتصلت على الدكتور قسم السيد حمزة- جامعة الزعيم الأزهرى، المختص في علم التاريخ، والذي أوضح أنه التقى بالأستاذ عباس الزين في الثمانيات من القرن الماضي أثناء تحضيره لدرجة الماجستير في كلية الآداب- جامعة الخرطوم، وأن كثرة ترده على المكتبة أثناء إعداد الرسالة رفع الكلفة والحواجز بينهما، وأصبحت هنالك علاقة حميمة بينهم، وذكر عن المرحوم عباس الزين أنه مثال الطيبة والإنسانية وأنه كان حريص على راحة الباحثين ويلبي كل احتياجاتهم، وذكر أن له حس فني وذوق عالي، وأوضح أنه من أفضل من تعامل معه فهو الذوق والأدب والرقعة في التعامل والروح النقية. واسترسل الدكتور قسم السيد حمزة في الحديث وقال أنه يتذكر عند إعداد له رسالة الدكتوراه في التاريخ المعاصر أن الأستاذ عباس الزين رحمه الله كان يعرف أسماء المراجع والمؤلفين وأنه يعرف المراجع والنفيس منها، وأنه يقوم بالسؤال عن موضوعك ثم يقوم بتوجيهك إلى المراجع التي تحتاجها وحتى المراجع والكتب التي كتبت باللغة الإنجليزية والتي لها علاقة بتاريخ السودان، كان يعرفها حتى كتب الرحالة الذين زاروا السودان في

القرن الثامن عشر، كان على علم بها، وذكر أنه أكثر إبداعاً في مجال التاريخ نسبة لاهتماماته الأكاديمية في هذا المجال مثل كتب (جيمس بروس، هايبر) وأنه مثال للتعامل الراقي مع الباحثين الأجانب. وأنه ذات مرة حضر إلى المكتبة فوجد باحثة إيطالية تكتب عن ثورة 1924م السودانية، فسعد من حديث الراحل معها باللغة الإنجليزية بكل أريحية وأوضح أنه توجد بعض الكتب الإنجليزية التي أشارت في مقدمتها عن تعامل الراحل المقيم الأستاذ عباس الزين، ومنها على سبيل المثال لا الحصر؛ الكتاب الذي أعده الباحث فيرغيس نيكول بعنوان: سيف النبي؛ مهدي السودان. وقد قام بترجمته الدكتور عبد الواحد عبد الله يوسف، وقام مركز عبد الكريم ميرغني بنشره. وختم حديثه معي بكلمات عن الراحل، وقال إنه صاحب اليد العليا من الناحية الإنسانية والاجتماعية، فهو شخص يحب المرح والدعابة ويحب المقارنات والمقاربات نتيجة لتنقله لمدن السودان المختلفة، وأنه مميز على مستوى الأسرة والبعد الإنساني، والمشاركة في الأفراح والأفراح، فهو شخص صاحب مهنية عالية، وأنه أبٌ للجميع ورجل قومي مميز ونبراس وعلامة يهتدي به الجميع، وأنه بكى عليه عندما سمع بخبر وفاته حتى أنه ذكر أن رقم تلفونه لا يزال معه لم يستطيع حذفه من جواله، نسأل الله أن يتقبله قبولاً حسناً⁽⁵⁾.

ذكرت أخته الأستاذة ماري الزين الطيب المدير الأسبق لبنك الخرطوم، فرع البرلمان أن المرحوم الأستاذ عباس الزين كان عطوفاً، بشوشاً، حليماً، كريماً، وصبوراً، وهو عونٌ لجميع أفراد الأسرة، لم نراه غاضباً ولم يُغضب أحد أبداً في الأسرة، يحب الخير للجميع، نال رضا والديه وحبَّ إخوانه وأخواته. وأضافت قائلة: (رافقتة شقيقتي لأداء العمرة في العام 2019م، وعند زيارتهم لجبل عرفات؛ صعد الجبل وكانت إحدى دعواته: «يا ربي لا نمرض يشيلونا ولا نتعب يقلبونا، يا ربي من القوة لي الهوة»⁽⁶⁾. وقد كان صائماً حتى الخميس الخامس من رمضان عندما أصيب بحمى خفيفة توفي أثرها عصر السبت في الثاني من مايو 2020م، ولم يشعر أحد بخروج روحه الطاهرة، كأنما استجاب الله تعالى لدعوته، رحمه الله رحمة واسعة، والهم أهله وزملاءه وطلابه الصبر على فراقه. ونسأل الله أن يحتذي كل الطلاب والباحثين ورؤاد المكتبة بهذه القدوة والمثل الأعلى الذي أتفق الجميع على صفاته وقل ما يتفق البشر على شيء. وقد قام الدكتور حاتم كمال الدين الطيب العميد الأسبق لكلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية بإنشاء مكتبة الكترونية لروح الفقيد، وتضم

مختلف التخصصات أسماها (مكتبة الأستاذ عباس الزين)، وذلك في سبتمبر 2021م، تضم أكثر من 100 باحث وطالب علم، والهدف منها أن تكون نواة لمكتبة عصرية تستقبل فقط الكتب والمجلات التي يقوم الباحثين بطلبها، وهذا يدل على أنه لا يزال طريق العلم للباحثين. وقد كتب عنه البروفيسور عبد الله محمد أحمد عندما سمع بخبر وفاته (في ذمة الله عباس الزين: أيا شجر الخابور مالك مورقا.. كأنك لم تحزن على ابن طريف)، وأضاف: «يعز عليّ أن أدخل مكتبة السودان فأجد موضعه منها خاليا، فمكانه منها مكان القطب من الرحا». وقد وصفه البروفيسور إبراهيم الزين صغIRON بأنه مثال نادر للوفاء في أدائه لعمله وفي عشقه للكتاب فما ذكر عباس رحمه الله إلا وذكر الكتاب⁽⁷⁾.

الهوامش:

- (1) مقابلة شخصية مع الأستاذ جعفر ميرغني، موظف بمكتبة السودان، جامعة الخرطوم 2022م.
- (2) مقابلة شخصية مع الأستاذة أميرة عبد العزيز حمدتو، موظفة بمكتبة السودان، جامعة الخرطوم 2022م.
- (3) مقابلة شخصية مع الأستاذ سامي محمد حسين، رئيس قسم التجليد بمكتبة السودان، جامعة الخرطوم 2022م.
- (4) مقابلة شخصية مع الأستاذة مها هارون رضا، المحاضر بجامعة بخت الرضا، 2022م.
- (5) مقابلة شخصية مع الدكتور قسم السيد حمزة، أستاذ التاريخ بجامعة الزعيم الأزهرى، 2022م.
- (6) مقابلة شخصية مع الأستاذ ماريّا الزين الطيب، موظفة سابقة ببنك الخرطوم، 2022م.
- (7) كلمات مقتبسة من رثاء البروفيسور عبد الله محمد أحمد، أستاذ اللغة العربية بجامعة للخرطوم للفقيد.

كلمات كُتبت في رثاء الفقيد كلمة السيدة مدير جامعة الخرطوم أ.د. فدوى عبد الرحمن علي طه

تنعي مديرة جامعة الخرطوم ببالغ الحزن والأسى؛ الأستاذ عباس الزين، الموظف بمكتبة السودان، الذي انتقل إلى جوار ربه عصر اليوم السبت الموافق للثاني من مايو 2020م. عمل عباس بالمكتبة طويلاً وحفظ مواقع كتبها وحافظ عليها. تفانى عباس في خدمة رؤاها وخَرَجَ أجيالاً من الطلاب والباحثين. وكانت المكتبة أسرته الكبيرة والصغيرة. ولم يقو على فراقها، فعندما أُحيل للتقاعد فضّل العمل دون أجر مواصلة لعطائه. عباس شخص نادر وعفيف قلٌّ أن يجود الزمان بمثله. نسأل الله أن يتغمّده برحمته ويصبرنا على فراقه.

وأضافت قائلة في حسابها على تويتر: «عباس الزين الطيب حارس الكتب والمعرفة الأمين.. كنت إنساناً متفرداً يا عباس. لك الرحمة والمغفرة ولبادي، وربنا إقْدَرنا على دخول مكتبة السودان».

في ذمة الله عباس الزين

بقلم أ.د. عبد الله محمد أحمد - كلية الآداب - جامعة الخرطوم

روحٌ فاضت إلى بارئها في الشهر المبارك وروضةٌ ذُبلت أزهارها ودوحةٌ سكنت أطيارها فلا غرو أن تعجبت الشاعرة من تلكم الشجرة المورقة:

أيا شجرَ الخابور مالكٌ مُورقاً كأنك لم تحزنْ على ابنِ طريفٍ
إنني ليحزنُنِّي أن أدخلَ مكتبةَ السودان فأرى موضعَ عباسٍ منها خالياً،
فمكأنه منها مكانُ القطبِ من الرّحى. اتصل بي قبل ساعةٍ من الزمان
العالم الجليل بروفسير إبراهيم الزين صغيرون فعزّاني وعزّيته في هذا الفقد
الجلل فقد كانت فجيعَةُ أهل العلم فيه كفجيعَةِ أهله فيه. وقد وصفه بكلِّ
وصفٍ جميل فهو مثالٌ نادرٌ للوفاء في أدائه لعمله وفي عشقه للكتاب فما
ذُكرَ عباسٌ رحمه الله إلا وذُكرَ الكتابُ فبينهما رَجْمٌ واشْجَةٌ. يهونُ عنده
النصبُ ويتناسى الأسقام في سبيل خدمة أهل العلم. فطالما سَفَرَ بين الكُتبِ
والدارسين، فقد كان اسمه على لسان كلِّ باحثٍ في تاريخ السودان وتراثه وأدبه
من داخل السودان وخارجه. يكفي أن تذكر له اسمَ الكتاب حتى تجده بين
يديك فقد كان يحفظُ موضعَ كل كتاب في المكتبة أو تذكر الموضوع الذي تبحث
فيه فيأتيك بكل ما كُتبَ فيه من ثمراتِ العقول. فذاكرته أرشيفٌ ضمَّ كلَّ
ما حوته المكتبة من كتبٍ ومجلاتٍ ورسائلٍ جامعيةٍ، من كلِّ ما جادت به
ألسنة الأقلام من أفواه المحابر. رجلٌ حبَّب الله تعالى الخيرَ إليه وحبَّبه
إلى الخير. كثيرُ الفعال نزرُ المقال جميلُ الخصال عزيزُ المثال.. خدم مكتبة
الجامعة لأكثر من خمسة عُقود بروح لا تعرفُ الكلال ولا يعترئها الملال.
نسيته الجامعة زماناً طويلاً ثمّ تداركتُ بعضَ ما فات منها فجاء تكريمه
على يد السيدة الفضلى بروفسير فدوى عبد الرحمن مديرة الجامعة في آخر
أيامه رحمه الله تعالى. أنزل الله تعالى على قبره من شآبيب رحمته ما
تخضرُّ له تربةُ الجدث وتُضيء له ظلُّمات الرَّمس.

الأستاذ النبيل عباس الزين (ت. ٢ مايو ٢٠٢٠م):

ترك مقعده شاغراً بمكتبة السودان جامعة الخرطوم

أ.د أحمد إبراهيم أبوشوك- جامعة قطر - قطر :

ارتبط اسم الأستاذ عباس الزين بمكتبة السودان، جامعة الخرطوم، حيث قضى خمسة عقود من عمره النضير في خدمة المكتبة وزوارها من الأساتذة والباحثين والطلبة، ولذلك وصفه الدكتور خالد محمد فرح بـ «عاشق الكتاب، وسادن المعرفة»، ونعته الدكتور إبراهيم الزين صغيريون بأنه «مثال نادر للوفاء في أدائه عمله». هكذا كان عباس يسمو فوق هذه الصفات بتواضعه الجَمِّ، وأدبه الرفيع، وتفانيه في العمل، بل بنكران ذات عجيب. كانت المكتبة تعني له الزوج، والأسرة، والجليس الصالح؛ لذلك اترحل عنها إلى الدار الآخرة دون أن يقترن بشريك حياة غيرها، بل ترك سجلاً حافلاً شكر الباحثين والطلبة وعرفانهم إليه، لأنه كان يساعدهم بسعة صدر، وطيب خاطر مفعم بالوفاء والإحسان. ويرجع تاريخ تأسيس المكتبة التي عمل الأستاذ عباس الزين في كنفها وعشقها حتى الثمالة إلى عام 1961م، عندما قررت إدارة جامعة الخرطوم إنشاء مكتبة، تهتم بشؤون السودان، وتجمع كل ما كُتب عنه، فأطلقت عليها اسم مكتبة السودان. وكانت عملية التأسيس على يد الأستاذ القدير في علم المكتبات عبد الرحمن النصري، وأعانته في ذلك نفرٌ من العاملين في مجال علم المكتبات وإدارتها، أمثال الأستاذ قاسم عثمان نور، الذي عمل بمكتبة السودان في الفترة 1965 إلى 1980م، ولا حقاً الأستاذ عباس الزين. وبعد إصدار قانون إيداع المصنفات لعام 1966 وتعديله لعام 1971م، أصبحت مكتبة السودان الحاضنة الأولى للمطبوعات التي تصدر في السودان، بما في ذلك الكتب، والرسائل الجامعية، والصور الفتوغرافية، والخرائط، والتقارير الحكومية، والاتفاقيات السياسية، وأوراق المؤتمرات، والصحف والمجلات، فضلاً عن الكتب التي تصدر خارج السودان. ولذلك وصفها قاسم عثمان نور بذاكرة الوطن، بحكم أنها أكبر وأغنى مكتبة للأدبيات السودانية في داخل القطر وخارجه. وكان استخدام مكتبة السودان قاصراً على أساتذة الجامعة والباحثين وطلبة الدراسات العليا، للإفادة من نظام الرفوف المفتوحة للحصول على المادة

التي يبتغيها كل باحث، وكانت الرسائل الجامعية توضع في خزائن أو رفوف مغلقة؛ أما طلبة البكالوريوس فكانوا يحصلون على مقتنيات المكتبة عن طريق الإعارة الداخلية في المكتبة الرئيسة. وظلت مكتبة السودان منذ تاريخ تأسيسها في العام 1961م كائنة في الطابق الأول، والركن الجنوبي الغربي لمباني كلية غردون (مكتبة جامعة الخرطوم الرئيسة لاحقاً). وفي العام 1994م تمّ ترحيل مقتنياتها إلى أحد مباني جامعة الخرطوم المطلة على شارع الجمهورية (مبنى داخلية بحر الغزال سابقاً).

لعمري لم أجد مثيلاً لمكتبة السودان في القطر كله، ولا شبيهاً للأستاذ عباس الزين إلا صديقه الأستاذ سيد مصطفى (سيد بن ريا) بدار الوثائق القومية، فإنهما كانا يشتركان في صفات كثيرة، منها التفاني في العمل، وحب الوظيفة، وحفظ مقتنيات المؤسسة التي ينتمي كل واحد منهما إليها، فضلاً عن مساعدة الطلبة والباحثين. وفوق هذا وذاك مات كل واحد منهما من غير شريك في الحياة إلا مكتبة السودان من طرف، ودار الوثائق القومية من طرف آخر؛ ألا رحم الله عباساً وسيداً بقدر ما قدما للبحث العلمي والباحثين، وبقدر إخلاصهما وتفانيهما في العمل.

عباس الزين الطيب (مكتبة ورحلت)

أ.د. عبد اللطيف البوني - الجامعة الوطنية

(1)

بإيعاز من أستاذي الجليل الراحل / محمد سعيد القذال قررت أن يكون بحثي للتخرج من الجامعة (حركة مزارعي الجزيرة) ويومها كانت المادة المكتوبة عن مشروع الجزيرة نادرة جداً كأنما هناك جهة تريد أن يبقى هذا المشروع بعيداً عن التناول الأكاديمي والمجتمعي، وهذه قصة أخرى. فكان لا بد من الذهاب لمكتبة السودان، وهي جزء من مكتبة الجامعة العامة، جمع فيه كل ما كُتب عن السودان من رسائل ومدونات وكتب وصحف، ولكنها كانت مخصصة لطلاب الدراسات العليا، ولا يمكن لطلاب البكالوريوس الاستفادة منها إلا بإجراءات معقدة تبدأ بإفادة من الكلية ثم يُقدم الطلب لأمين المكتبة، وبعد الموافقة تكتب المرجع الذي تريد لتأتيك في المكتبة العامة. ولما كان بلدياتي وصديقي الراحل محمد الشيخ إدريس (طه الجاك) موظفاً في المكتبة لجأت إليه فقال لي اعتبر الموضوع منتهي لأن المسؤول المسائي عن المكتبة صاحبنا عباس الزين، وهو زول متعاون جداً وشغوف بالمعرفة.

(2)

كان ترحيب عباس بي فوق كل تصور فذهب لمكتبة الشنقيطي، وهي أيضاً مخصصة لجلوس طلاب الدراسات العليا، ولكن بها متسع، واستأذن ملازم المكتبة كي أجلس هناك ولم يحوجني لأي كشف لأنه يعرف كل ما في المكتبة عن الجزيرة، فاقترح علي أن أبدأ بالزراعة في السودان، فأحضر لي سفر توتهيل الضخم وبعده كتاب آرثر جتسيكل (الجزيرة قصة تنمية)، وكانت توجد منه نسخة واحدة، ثم رسالة دكتور عبد الوهاب عبد العزيز المبارك، فكانت كتب ومراجع ما كنت أحلم بها. وكنت متخيلاً أن هذه معاملة خاصة لي نسبة لوساطة محمد الشيخ إدريس، ولكنني اكتشفت أن كل المجموعة (الملبدة) في مكتبة الشنقيطي أتت بها عباس، فهو لا يريد أن يخرق اللوائح بإدخال طلاب البكالوريوس في مكتبة السودان، وفي نفس الوقت يريد أن ييسر على الطلاب ويختصر الإجراءات المطولة، وهذا يكلفه مشاوير وجهداً ورهقاً. وكان كل واحد منا يظن أن عباس يخدمه بصورة خاصة، ولكننا أيقنا أن هذا ديدنه مع كل باحث.

(3)

من أرض المحنة، من الجزيرة ومن القسم الشمالي فيها، تحديداً من قرية (حلة عباس) الوداعة التي تتوسط الحواشات المخضرة؛ جاء عباس الزين الطيب. وهي ذات القرية التي أعطت السودان؛ ملك الأداء وسلطان الطرب و(قائد أسطول) الغناء الشعبي وسادن الحقيبة صاحب الصوت الذي هز كل السودان (من اليمن للشام) بادي محمد الطيب، وهو ابن عم عباس لزم وعملاً معاً في جامعة الخرطوم، وتساكنا كعزابة مع رهط من أهل قريتهم بالعباسية بأمر درمان. لا بل في بواكير شبابه عمل معه عباس ككورس، وأحياناً ضابط إيقاع. أكاد أجزم أنني لم أصادف في حياتي شخصاً محباً لوظيفته متفانياً فيها مثل عباس الزين. ولعل هذا بشهادة كل من مرّ بمكتبة السودان، ومن مختلف المستويات، بكالوريوس ماجستير دكتوراه ومؤلفين ومسؤولين. فعباس كان متجاوزاً لمهمته الرسمية، إذ كان سرعان ما تنمو بينه وبين طالب الخدمة مودة وصداقة بعبارة أخرى أنه يقدم الخدمة بمحبة. وبالطبع هذا يرجع لفطرته السمحة، ولحبه للبحث والباحثين. ومن أراد أن يستوثق من ذلك فليذهب إلى مكتبة السودان ليجد في صفحة الشكر من كل رسالة اسم عباس الزين متحكراً فيها.

(4)

منذ وقت بحث التخرج توطدت صلتني بعباس الزين وظللت على تواصل معه، بيد أنه في السنوات الأخيرة كنت لا أقابله إلا خطفاً، وفي كل مرة أقابله فيها كان يطلب مني أن أمد المكتبة بما نشرته من كتب (ياخي سمعت أنك طلعت حاطب ليل في مجلدات، من فضلك أدينا نسخة لمكتبة السودان، ياخي أنا مستعد أجيك في أي مكان عشان أشيلها منك) (تجيني يا عباس بالموريس ماينربتا عتك المن سنة حفروا البحر ديك؟) يضحك (ياخي الله يطرك بالخير، انت من زمن الموريس ماينر.. لكن والله من شدة ما صبرت عليها الجماعة لقبوني بسيدنا أيوب) (يا عباس والله انت سيدنا أيوب في كل تفاصيل حياتك، ياخي ما كفاية صبرك على العزوبية) يضحك (نعمل شنو عاد ياهو قدرنا) (تعرف يا عباس انت ربنا أداك الكثير، أداك الظرافة والأناقة والوسامة والأدب والطول الفارع والشعر السببي والصبر والتفاني في خدمة الآخرين، لكن ما ممكن يدريك كل شي كمان) (انت نسيت الشلوخولاشنو؟) (والله حتى شلخك مخالف من سماعته).

(5)

لقد شق عليّ نعي عباس الزين الذي طارت به الأسافير في الأسبوع قبل الماضي، إذ تناقله محبوه وعارفو فضله، وما أكثرهم على امتداد السودان وخارجه، إذ يندر أن تجد باحثاً أكاديمياً في الدراسات الإنسانية لم يمر على مكتبة السودان. فقد كانت إلى وقت قريب مستودع المعرفة الوحيد بالسودان. وكان كل من ينعي عباس يعتبره صديقاً خاصاً. بصفة خاصة لقد أحزنني نبأ رحيل عباس، لأنني لم ألتقه في السنوات الأخيرة. كما أن النبأ هيج في نفسي لواعج الذكرى، فتذكرت صديقي وصديقه محمد الشيخ إدريس (طه الجاك) الذي غادر هو الآخر هذه الفانية مثل عباس بكل هدوء مثلما دخلها ولم يترك مالاً ولا عقاراً ولا ولداً، إنما محبة الناس فقط.

كان عباس موظفاً في الخدمة المدنية مثله مثل آخرين كثر، ولكنه كان يمتاز بأن طبيعته وظيفته جعلته في خدمة العلم والعلماء، وتحديداً في مجال المعرفة بالسودان بكل تفاصيله. ونشهد بأنه قد أداها بمحبة وتفان، لذلك نعتبره شخصية قومية بامتياز. فالدور والباقي على جامعة الخرطوم أن تبادل وفاء عباس بما يستحق، ونرفع هذا الأمر إلى صديقه وعارفة فضله وصديقتنا البروفيسور فدوى عبد الرحمن علي طه مدير الجامعة. اللهم أرحم عبدك عباس الزين وأسكنه الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً. وصادق تعازينا لأهلنا وأحبابنا بحلة عباس.

رحل العم عباس الزين الطيب - لقد انطفأ قنديلٌ كان يضيء حناس المعرفة:

د. محمد الفاتح حياتي - قسم الآثار - كلية الآداب -
جامعة الخرطوم

الحمد لله القائل وهو عز من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ». والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على من كان رحيله إلى الرفيق الأعلى تمحيصاً لأهل الإيمان.

عند الأصيل من السبت، الموافق للثاني من مايو من العام 2020م رُزئنا أيما رزء بفقد كريم الأصل والخصال، عزيز النفس، جميل الصفات؛ العم الأستاذ عباس الزين الطيب عبد الله. لم يكن رحيله فاجعة على الأهل والعشيرة فحسب، بل كان صاعقة أصابت الأوساط العلمية والبحثية، إذ نعاها الناعون وبكوه بالدمع البديد والحرقة التي أصابت مقتل أحبائه وزملائه وكل من يعرفونه.

لم يكن الأستاذ عباس الزين مجرد شخص يؤدي واجبه كمثال لنظام الخدمة المدنية الحقة، بل كان يحسن العمل وزيادة، لقد كان العم عباس إنساناً تتجسد فيه معاني الإنسانية بمعنى الكلمة. لا أقول إنه كان يساعد الصغير قبل الكبير والغريب قبل القريب، لكنه كان يزيد على ذلك بشاشة وطلاقة وجه وإحسان وتفان في العمل والمساعدة.

يُعد العم عباس ركناً ركيناً من أركان مكتبة السودان بجامعة الخرطوم، بل إن مكتبة السودان هي عم عباس، فعندما ننوي الذهاب إليها، لا يتبادر إلى أذهاننا إلا ذاك الشخص البشوش الذي يبذل روحه لأن يجد لك ما تطلبه من المصادر المتعددة التي يحفظها هو عن ظهر قلب. ولا تكاد تسأله عن كتاب إلا ويكون قد عرف محتوياته قبل موضعه في أضاير المكتبة، فهو خازنها وصادنها لخمس عهود من الزمان. وقد خلق اهتمامه بالمكتبة علاقة بينه وبين الكتاب والباحثين في مجالات السودانويات بمختلف توجهاتهم، إذ كانوا يهدون المكتبة إنتاجهم العلمي بشكل ثابت، وكانوا على تواصل مع العم عباس بصورة شخصية لما لمسوه فيه من دماثة الخلق وشغفه بالمكتبة وإثرائها بما تحتاجه من كتب، زيادة على بذل الجهد لجلب الجديد من المطبوعات، فكثيراً ما كان يجتهد بصورة شخصية ليلبي رغبات القراء والباحثين وإحضار ما يحتاجونه من كتب لا تتوفر في المكتبة. وقد كان عنده برنامج ثابت، وهو أنه بعد أن يكمل عمله اليومي، يذهب إلى السوق العربي أو سوق أم درمان ليقف الساعات الطوال أمام الكتب المعروضة على الأرض، لعله يجد فيها ما تحتاجه المكتبة، إذ تعد الكتب المعروضة في الرصيف ثروة هائلة لا يعرف قدرها إلا أهل

الشغف بالعلم الذين يسبرون أغوارها ويتابعون جديدها. فمكتبة السودان؛ هذه المكتبة العظيمة تعد ملاذاً للباحثين في مجال الدراسات السودانية بشتى ضروبها، إذ بُنيت حلقات وصل متينة بين أضلاع المثلث الثلاثة؛ عمي عباس والمكتبة والذين يرتادونها طوال حياتهم البحثية. فقد كان العم عباس شماساً يدير كؤوس الراح على الدامى في حانات المعرفة بكل أدب وتهذيب. وقد ارتبط عند الباحثين بعقب الكتب القديمة التي تملأ المكتبة، فلا تكاد تدخل المكتبة وتنشق عبر الكتب الذي يقابلك عند المدخل إلا وروحك تتطلع إلى رؤية العم عباس وسماع صوته الهادئ الحاني. وقد كان يعير صغار الباحثين وطلاب البكالوريوس ليروي بنفسه بذرة تراكمهم المعرفي، لأنه يتأملهم بنظرة ثاقبة ترنو إلى المستقبل الواعد فيرى فيهم علماء المستقبل وسادة المعرفة. ومنذ أن وطئت قدمي سوح جامعة الخرطوم؛ وجدت في العم عباس خير معين وسند، فقد شارك مشاركة ثرة في إعدادي المعرفي منذ أن كنت في مرحلة البكالوريوس، فكلما ذهبت إليه في المكتبة أو حادثته هاتفياً إلا وأشبع روحي بما أريد من المراجع المهمة، وإذا لم يجد ما أريد في المكتبة كان يقول لي: «خلينيشوفو ليك في السوق العربي عند الفراشة، يتلقي إن شاء الله». أي إنسان هذا وأي روح طيبة هذه.

أما على صعيد التواصل والتراحم الاجتماعي فلن يستطيع أحد أن يضاهيه ويجاريه في ذلك، فقد كان سباقاً إلى المشاركة في محافل القرية أفرحاً وأتراحاً، وكُنّا نجده قد وصل القرية قبلنا وهو كهل نحيل الجسد. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

أعزي نفسي قبل كل إنسان، لأن رحيله كان فاجعة تركت غصة في قلبي وجُزناً عميقاً، فقد فقدت فيه الأب الحنون والمرشد والمربي والقُدوة المثلى في الخلق والتعامل الراقى، ولا أدري كيف ألجُ جامعة الخرطوم بعد أن أضحت خالية من تواجده الجغرافي والنفسي. الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. كما أعزي أهلي وعشيرتي بحلة عباس مسقط الرأس خاصة، ومنطقة الحلاوين عامة، وكل الأهل بالخرطوم. كما أعزي الأسرة الجامعية قاطبة، فقد فقدوا زميلاً وأباً وأخاً طيباً المعشر. ولا يفوتني أن أعزي مجتمع الباحثين وأصدقاء مكتبة السودان في مشارق الأرض ومغاربها. فالعم عباس من البقية الباقية الذين قال فيهم محمد المكي إبراهيم: جيل العطاء المستجيش ضراوة ومصادمة.. المستميت على المبادئ مؤمناً.. المشرئب إلى النجوم لينتقي صدر السماء لشعبنا.

ألا رحم الله الفقيد وأحلّه عنده في مقعد صدق في جنات ونهر، وضاعف رضوانه عليه، وجعل مقيله في الفردوس الأعلى مع الحبيب الطبيب صلى الله عليه وسلم. والحمد لله أولاً وآخراً.

قصيدة في رثاء الفقيد الأستاذ عباس الزين الطيب

طيب الله ثراه

د. محمد السر محمد علي الجعلي:

عن الليث الذي هجر العرينا
بمكتبة لها أضحى أمينا
بسيب المال عند البازلينا
فلم بُخل ولم يلفَ ضنينا
عبوسٌ في وجوه العابئينا
بالرعاية طلعتها دهرًا وحيننا
له عند الشدائد حيث جينا
حضورا لم يقطبه الجبيننا
وعند اليسر زاد العارفينا
يفوق حديثه الدرّ الثميننا
وإن سيقّت له الدُّنيا قطينا
ونقص الكيل عبأه يقينا
يُعَدّ صنيعه في العنق ديننا
مثول الحبس في قفص سجيننا
كما النخل الكريم يموت فينا
وإن خارت قواه فلن يلينا
وحال الناس أغنى السائلينا
بذا قد كان نعي القاطنيننا
فقد والله كنت بها قمينا
فسيفُ الحظر شجّ الوصل فينا
لفقدك عندنا لا خير فينا

أيا قِمَمَ المعارفِ خبرينا
وفي السودان بصمته فخار
فقد ألف الخزانة مستعيناً
حفيّاً كان يلقي زائريه
هو العبّاس لا كديرًا ولكن
بمكتبة له كانت ملاذا تعهد
فلا والله ما لانت قناة
فإن تطلّبه في شأن تجده صبورُ
أدهش الصبر احتمالا
يكلّم لا يملّ له جليس
فلم يثبّ لحب المال فضلاً
فزاد الكيل صاعن اعتزازاً
غدا يهب المشورة دون أجر
وعلمم بأنّ النسر يأبى
وأثر أن يغادر طود عـز
بقامته امتشاقاً واعتدالاً
رحلت كما أتيت بلا ضجيج
حمامة مسجد في الحي تدعى
وتلك شهادة الأطهار فيكم
حُمنا أن نُشيعك اضطراراً
فتلك محاسنٌ إن لم نصغها